المكتبة الثقافية
١١٥

التفرقة العنصرية

الدكتور أحمد سويلم العمرى

١٥ أغسطس ١٩٦٤

المكتبة الثقافية
١١٥

التفرقة العنصرية

الدكتور أحمد سويلم العمري



١٥ أغسطس ١٩٦٤

توزيع

دار القلم

١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة
ت ٣٢٠٥٥ — ٧٧٧٤١

مقدمة

إن التفرقة العنصرية فى مقدمة مشكلات عالم اليوم ، وهى
من الأعراض الاجتماعية والسياسية والاقتصادية
لمجتمعنا الحديث ، ولم تك معروفة فى صورتها البارزة الضخمة
التى تباعد ما بين الشعوب إلا منذ عصر الانقلاب الصناعى واتساع
نطاق استخدام الآلات وما صحب ذلك من تسخير زرافات الناس
لصالح الرأسمالية الاستعمارية وإنتاج المواد الأولية فيما وراء
البحار بوفرة وسوق آلاف العمال إلى المصانع الضخمة لإنتاج
عشرات الملايين من وحدات المواد المصنوعة المحولة probits
mann facturé .

وهذه المشكلة لم تعرف بحال فى المجتمع الإسلامى والعربى ،
فلم يفرق الإسلام بين لون وآخر ، كما لم يميز بين الناس ، والجميع
سواسية كأسنان المشط ، وعرف العرب لقرون مضت منذ بزوغ
الإسلام روح المساواة التى نادت بها الثورة الفرنسية فى آخر
القرن الثامن عشر ، ورسخت فى طبائعهم ونفوسهم ، وتولى
الخلافة من كانت أمه من الجوارى وهو المأمون أومن النصارى
وهو عبد الرحمن الثالث بالأندلس ، وكثيراً ما كان يقرب السيد

تابعه ثم يزوجه ابنته ، ولم يبدر من العربى إزدراء للفرد تبعا للون البشرة أو اختلاف الجنس او الدين أو للفقر وكان الأجراء والأرقاء والذميون موضع رعاية الدولة ، كما اتسمت أخلاق العرب بالعدل والرأفة والسماحة والرفق والتعاطف ونبل الطباع وإغاثة الملهوف ومنح الأمان ، وعاصرت فجر الإسلام مدنيات بيزنطة وروما وفارس وغيرها ، وكان الرق فى طبائع حضارات ذلك الزمان ، غير أنه اختلف فى المجتمع العربى عنه فى المجتمعات الأخرى ، فلم يك فيه جور وقسوة واحتقار بسبب لون البشرة ، وكان الرقيق يعتبر ضمن أسرة سيده ، وقد يحرره ويزوجه ابنته إذا برزت مواهبه ، وقد يرتفع إلى أسمى مراتب الدولة ، ولم تقم حياة الأرقاء بحال على الأصفاد والسياط كما شوهد ذلك فى العصور الحديثة بالقارة الأمريكية وغيرها ، ولم ينظر المسلم للرقيق بعين الحقد والكراهية ، مما يؤدى إلى الاضطهاد العنصرى وانفصام المجتمع .

وآيات الله البينات خير دليل على تسامح الإسلام وروح المجتمع العربى القائم على المساواة والتعاطف ، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى : « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر ، وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ، وإن جادلوك

فقل الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » ، وفى قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» وفى قوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كما جاء فى الحديث الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وكذلك فى حديث آخر مما يدل على بساطة وتواضع الإسلام وروح المجتمع العربى السمحاء « يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب » ، وفى حديث آخر عن المساواة فى الإسلام « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » كما جاء فى خطاب لأبى بكر بمناسبة مبايعته بالخلافة « أيها الناس وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف منكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ، والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله » ، وقال فى نفس المعنى عمر بن الخطاب حينما ولى الخلافة

« يا أيها الناس والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » .

ومشى الاستعمار الحديث الذى راج فى أثر الانقلاب الصناعى واتسع نطاقه بسبب اطراد ثراء المشروعات عن طريق الصناعات الآلية وامتداد آفاق الأسواق على الألوان والأجناس، وظهر الاضطهاد العنصرى فى صور شتى فيما وراء البحار، فظهر فى القارة الإفريقية ، وقد أطلق عليها قبل تحررها اليوم القارة المظلمة ، يذيق الشعوب السمراء — وقد غلبت على أمرها نتيجة استخدام الأوروبى الأسلحة الميكانيكية كالبندقية السريعة الطلقات والكيمائية كالديناميت والغازات السامة — ألوان الاضطهاد والاستغلال والإبادة ، وأخذ يعمل فيها تقتيلاو تشريدا ويسوق منها قسراً الآلاف كرقيق للعمل فى مزارع ومصانع العالم الجديد فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وظهر فى الهند والصين فى صورة إرهاب وتفرقة بين الأوروبى والشرقى والأسمر والأصفر فالغربى الأبيض يتمتع بالامتيازات ويعيش سيدا آمرا حاكما مطاعا فى حماية الحراب المشروعة ، ويحرم على المحكوم أن يجاوره أو يتعامل معه معاملة الند للند ، وكان

يستخدمه فى جر عربته بدل الدابة لينقله من مكان إلى آخر ويحول دون ارتياده حدائق ومنتديات معينة ، وكتبت على لافتات مثلا فى بعض الحدائق العامة فى شنغهاى مدينة الامتيازات الأجنبية ومناطق النفوذ الغربية « ممنوع على الوطنيين والكلاب دخول هذا المكان » ، ووضحت التفرقة فى الشرق الأوسط فى امتيازات قضائية ومالية وإعفاءات من الضرائب ومن الخضوع لقوانين البلاد يتمتع بها الغربيون على حساب أهل البلاد الذين لا ذنب لهم رغم عراقة حضارتهم وسماحتهم وسمو خلقهم إلا ضعف أسلحتهم التى تمكنهم من صد عدوان الغرب ، ولم تعد حكمتهم وفلسفتهم وحضارتهم القديمة كفيلة بصد بطش المدافع والطائرات وأن تحول دون احتلالهم واستغلال ديارهم واستعمارها لصالح الإمبراطوريات الصناعية الكبرى .

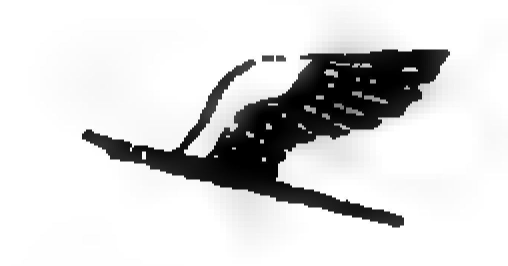
واتخذت القرارات لإنهاء الرق فى المؤتمرات الدولية المتعاقبة منذ مطلع القرن التاسع عشر ومؤتمرات واتفاقات فينا لسنة ١٨١٤ — ١٨١٥ ، وكان من أهمها اتفاق بروكسل لسنة ١٨٩٠ وقد وقعته ثمانى عشرة دولة ، ثم اتفاق سان جرمان لسنة ١٩١٩ الذى يكشف النقاب عن كافة ألوان الرق المقنع وقد عمل على تحريمها ، ثم الاتفاق على تحريم الرق فى ظل عصبة الأمم

لسنة ١٩٢٦ وقد وقعته ثماني وثلاثون دولة. غير أن الرق إذا كان قد سار في طريق نهايته وافوله منذ نهاية القرن الماضي فلقد رأينا في قرننا الحالي إلى يومنا هذا كراهية واضطهاداً من البيض وأبناء الاستعمار بسبب دكانة البشرة، وتفرقة بين الناس وعزلاً للسمر عن مجتمعات البيض، ومايتبع ذلك من حجر على الحريات وحبس للأرزاق ومطاردة للناس بكافة الوسائل في كسبهم وحياتهم العامة والخاصة، مما لايتفق مع اتجاهات عالم اليوم في وجوب المساواة بين البشرية، وما جاء مثلا في تصريح الأطلنطي لتشيرشل وروزفلت أثناء اشتداد رحى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١ من ضرورة تحرير البشرية من الخوف والعوز والاضطهاد، ثم ماجاء في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

ونرى أمثلة عديدة على الوضع الشائك في مشاكل العنصرية في شتى ربوع العالم، مثال ذلك في اتحاد جنوب أفريقيا والسيطرة التي تفرضها الأقلية البيضاء على الغالبية السمراء، وفي فلول مستعمرات البرتغال، وفي المجتمع الأمريكي ومايصبه مجتمع البيض الذي يمثل الغالبية على الأقلية السوداء النشطة هناك من

سوء المعاملة والاضطهاد ، وفى الكراهية بين جاليتين لا يفرق بينهما لون البشرة بل تفرق بينهما حضارتان ، ومع ذلك يمكنهما العيش الرضى معاً ، كما فى قبرص فى الصراع بين الجالية اليونانية والجالية التركية الذى تحبكه المناورات السياسية .

ونشرح فى دراستنا هذه فكرة الأجناس البشرية ومدى تفاوتها وتاريخ التفرقة العنصرية وتطوراتها وأثر الثورات الإنسانية الحديثة والاشتراكية فيها ووقوف الاستعمار حائلا دون إنهاء الفوارق بين الناس ، ونفرد دراسة لسماحة الحضارة العربية وديموقراطيتها وإلغائها للتفرقة العنصرية ، ثم للصهيونية والتفرقة العنصرية وتعلقها بها وفساد رأيها فى هذا الصدد ونبين أثر العنصرية فى المجتمع الأمريكى ، كما نشرح المشكلة من الناحيتين القومية والدولية ونختم البحث بعرض مختصر لدراستنا مع بيان أن زيادة الوعى الدولى ويقظة الرأى العام العالمى وتمسك الشعوب بأهداب السلام عوامل هامة فى سبيل تصفية مشكلة العنصرية .



نظرة عامة فى العنصرية

تعددت الكتابات فى الأجناس وتفاوت كفاياتها وأفضلية بعضها على البعض ، واختلفت الآراء واتجهت معظم الأقلام التى كتبت فى تفرقة الأجناس نحو الدعاية أو الدفاع عن جنس معين أو فكرة سياسية يمكن عن طريقها التحكم فى سائر الأجناس والاتساع الاستعمارى .

وارتكزت بعض هذه الأفكار على العنصر نفسه مؤيدة وجهة نظرها بالدين كأداة سياسية تعصبية ، وقد اتجه الصهيونيون هذا الاتجاه فزعم كتابهم أنهم شعب الله المختار ، وعملوا على حجز مجتمعهم تعالياً على سائر المجتمعات السياسية ونادوا بوجوب عودتهم إلى أرض الميعاد أو أرض العجائب وهى فلسطين والاحتشاد حول جبل صهيون فى فلسطين وقد كونوا منذ آلاف السنين مجتمعاً إسرائيلياً ما لبث أن انفرط عقده وذوى وتشتت شمله .

وتمسك المذهب الاستعمارى الألمانى فى طليعة تكوين الريخ الأول قبيل ثم عقب قيام الاتحاد الألمانى فى أعقاب الحرب

السبعينية بين بروسيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ وانتصار بروسيا وحليفاتها من الإمارات الألمانية على الإمبراطورية الفرنسية الثانية ، تمسك بفكرة نقاوة الشعب الألمانى وأنه من السلالة الآرية وأنه يتعين عودة الشعوب الجرمانية إلى الوطن الألمانى الموحد على أساس نقاوة عنصرها الآرى ، ولقد كان نتيجة انتصار بروسيا ، اقتطاع مقاطعتى الألزاس واللورين من فرنسا — وسكانهما أقرب إلى الجرمان منهم إلى اللاتين — غير أن الهدف سياسى وبسبب هزيمة فرنسا ، كما نادى رجال السياسة الألمان بفكرة السير نحو الشرق Drang nach osten وذلك فى سبيل انضمام الجرمان فى شرق أوروبا إلى الوطن الأم وحلول الريخ الأول محل امبراطورية النمسا والمجر كرائد للشعوب الجرمانية ، وتطورت فكرة السير نحو الشرق ، وألمانيا فوق الجميع ، فى ظل النظام النازى وحكم الزعيم هتلر أو الريخ الثالث سنة ١٩٣٤ — ١٩٤٥ إلى السعى وراء المجال الحيوى بالقوة والسلاح فى شرق أوروبا وإلى ضم البلدان التى تقطنها شعوب من أصول جرمانية أو قريبة منها إلى الريخ الثالث ، واتضح هذا فى الاتحاد الجمركى Ans chluss مع جمهورية النمسا ثم ضمها إلى ألمانيا الكبرى وأعقب ذلك ضم أراضى السوديت

— وتقطنها جماعات من الكاثوليك الألمان وكانت ضمن الأراضى التشكوسلوفاكية سنة ١٩٣٨ — باتفاق ميونيخ ثم المجر وغيرها لصالح ألمانيا الكبرى ، كما صدرت قوانين نورمبرج فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥ لصالح التمييز العنصرى الجرمانى الآرى والمحافظة على نقاوة الدم الجرمانى مع وضع العنصر السامى فى مؤخرة الأجناس وتحريم الاختلاط بين الدم الجرمانى وغيره على أساس الفلسفة النازية والفكرة التعصبية العنصرية المستمدة من كتابات جوبينو Gobinear الفرنسى وكتاب « كفاحى » Mein Kampf لهتلر الذى دبجه فى معتقله عقب فشل الانقلاب الذى اشترك فيه مع لودندورف لرد الاعتبار إلى الشعب الألمانى على أساس نقاوة عنصره الآرى سنة ١٩٢٣ .

ولبست فكرة الجنس عند الإنجلوسكسون ثوب الزهو ، ونظر الإنكليز إلى سائر الشعوب نظرات ازدراء ، وتعالوا على غيرهم حتى على سكان القارة الأوروبية ماعدا أهل الشمال ، كما أصدرت — لضرورة المحافظة على سلطان المجتمع الأبيض — السلطات المسئولة فى استراليا ونيوزيلاندة تشريعات تحديد وتحريم هجرة الأجناس الملونة والصفراء إلى البلاد ، كما سادت التفرقة العنصرية الولايات

المتحدة الأمريكية على أساس الازدراء والكراهية واتخذت في كثير من المواقف صور القسوة والعنف .

ونذكر كذلك أن فكرة التفرقة العنصرية لاتجهلها الشعوب الملونة والسوداء ضد بعضها البعض وضد العناصر البيضاء ، وهى لا تنظر بعين الرضا والارتياح إلى تغلغل العناصر البيضاء فى بلادها وسيطرتها على مواردها وسوء معاملتها لها وتبادلها كرها بكره ، كما قد يسود فى مجتمع من السود حقد جالية منه على الأخرى أو ازدراء السمر للسود .

وتمتزج فكرة التفرقة العنصرية بالكراهية والازدراء والحقد وسوء المعاملة والاضطهاد ، وهذا الخلق البعيد عن التعاطف والرحمة ومبادىء الحرية والمساواة والأخاء مما يباعد الشقة بين الناس ويحول دون تفاهمهم ، ومما يهدد المجتمعات البشرية بالتطاحن والتناحر واشتعال نيران حروب التعصب السياسى الأعمى .

وإذا كان ما نشاهده اليوم من تصرفات سياسية واجتماعية تحت ستار الجنس وتفاوته ، للاتساع على حساب الغير والاستئثار بالمنافع مما يزيد فى الكراهية بين الناس وتصارعهم بسبب بشرتهم أو اختلاف عناصرهم ، فهل هناك ما يؤيد هذا الاتجاه المعوج

من أن للأجناس البشرية تفاوتها وتفاوتها فى الكفاية والمقدرة حسب ألوانها وسحناتها وتكوينها الجثمانى ؟

إن الملاحظ منذ منتصف القرن الماضى هو اشتداد الحركات القومية وكفاح القوميات مع قسوة الحروب وإتساع نطاقها وسباق التسلح واتباع سياسة السلام المسلح وما تجره من قلق واضطراب المجتمعات البشرية المستمر ، يضاف إلى ذلك التمسك بأهداب العنصرية والتفرقة بين الأجناس ، وقد أدى هذا إلى سخط الشعوب الملونة واضطراباتهم وثوراتهم بين الحين والحين ، وصارت فكرة إيجاد حل عادل لقضية التفرقة العنصرية وثيقة الصلة بمشكلة الاستعمار وتصفية المستعمرات ومناطق النفوذ ، مما جعل العديد من الكتاب — مثال ذلك رجيلاند كوبلاند Reginald Goupland أستاذ التاريخ الاستعمارى باكسفورد فى مؤلف له بعنوان « الإمبراطورية فى هذه الأيام » — يقول فى صدد العنصرية : « إن مسألة التفرقة العنصرية من أعقد المسائل التى تتطلب حلا سريعا فى آسيا وهى من أدق المشكلات وهى خطيرة فى أفريقيا من الناحيتين المعنوية والخلقية » .

ولوحظ منـــذ مطلع قرننا الحالى اشتداد الكراهية بين الأجناس فى أفريقيا الغربية البريطانية رغم رواج التجارة

وانتشار المسيحية وهى دين الذين يباشرون هذه الكراهية فى القارة ، كما لوحظ اشتداد موجة المد على أساس الكراهية بين الأجناس كلما ازداد التنافس الإجتماعى والسياسى بين السود والبيض كما فى الولايات المتحدة ، ويقول الأستاذ جريجورى Gregory من المتخصصين فى مسائل العنصرية فى هذا الصدد «إن سير الإنسانية إلى الأمام يعوق موجة المد للتفرقة العنصرية» ولم تلبس العنصرية ثوب الباطل بلا اعتبار علمى أو منطقى إلا فى عصرنا الحديث ويقول فى هذا الصدد المؤرخ الانكليزى الحر النزعة توينبى Toynbee إن فكرة العنصرية عند الغربيين لم تتضح إلا فى آخر القرن الخامس عشر ، وقبل ذلك لم تـكـ البشرية مقسمة إلى أقوام من البيض والسمر بل كان أجدادنا يقسمونها إلى أقوام من المسيحيين والوثنيين ، وعلى ذلك كانت تفرقتهم أفضل ، إذ أن الشعور الدينى فى الإنسان له معنى أسمى وأهم من لون البشرة ، وإن فوارق الأديان غير فوارق الأجناس وليست مما لا يمكن تخطيه» وقد لاحظ توينبي هذا فى استقرار الهولنديين فى جنوب أفريقيا فى دراساته التاريخية وذكرها فى مؤلفه بعنوان « دراسة فى التاريخ » A Study of History ويقول فى هذا الشان ماك كرون Mac Crone فى كتابه عن

جنوب أفريقيا وهو شبيه بما ردده المؤرخ توني فى دراساته التاريخية فى أن الخط الفاصل بين المجموعات البشرية كانت ترسمه فوارق الأديان أكثر منها فوارق الأجناس وألوان البشر، وإن غير الأوروبى الأصل فى الكاب بمجرد تعميده كان يدخل ويحسب ضمن الجماعة المسيحية، وكان يعتق إذا كان رقيقا، والعقبة الوحيدة للزواج المختلط كانت الدين، ويزعم اللورد بريس Bryce أن ما تكنه الأجناس من كراهية فريق للآخر تبعا لبشرته ليست من المشكلات التى عرفت فى الامبراطوريات القديمة بل هى من مشاكل عصرنا القائم والتى نجمت عن اتساع الاستعمار وجشعه، وكانت الامبراطورية المنتصرة تفرض الاستعباد على الشعوب المفتوحة والمهزومة بلا اعتبار للون البشرة، أما الاستعمار حالا فهدفه أساسا فرض الاستعباد على الشعوب الملونة، كما لم تنبذ روما القديمة أو تحتقر الألوان المخالفة للون بشرة الرومانى.

ويلوح أن أقرب الأفكار الأسيوية إلى التفرقة العنصرية هى الطوائف Castes فى الهند، ويلاحظ فيها اختلاطها بفكرة الشعوب المهزومة وصارت أصول الطبقة الدنيا من أبناء الشعوب المهزومة، والكلمة فى الأصل السنسكريتى يعنى بها اللون،

وهذا النظام الفاصل بين الأقوام غرضه الإبقاء على عراقة الدم الآرى للمنتصرين بلا اختلاط ، وقد اتجهت الفكرة نحو توزيع الأعمال والوظائف وتسلسلها ، ومثل ذلك كان يتبع عند قبائل الانكا للهنود الحمر فى بيرو حيث كانت الحرف يتوارثها الأبناء عن الآباء ، وتشبه فكرة الطائفية هذه من حيث العزل إلى حد ما ، الفكرة العنصرية الحديثة فى الولايات المتحدة الأمريكية إذ تعمل الفكرتان على الإبقاء على النظام الاجتماعى الجامد ، وكما يصعب التزاوج بين طائفتين مختلفتين كذلك يصعب تحقيق الزواج المختلط بين السود والبيض بل هو محظور بحكم القانون فى كثير من ولايات الولايات المتحدة الأمريكية .

ويصعب تحديد فكرة التفرقة العنصرية ، وهى بلا شك قائمة منذ القدم ، إلا أنها اشتدت وسارت فى طريقها التعصبى فى عصورنا الحديثة منذ اكتشاف الأمريكتين والعثور على الطريق البحرى إلى الهند مروراً برأس الرجاء الصالح ، وترجع الأسباب إلى عوامل اقتصادية وقومية وبدء بروز قوة الشعوب البيضاء وتفوقها على غيرها وانتشارها فى الأرض تسيطر على مسالك البر والبحر وتحصل على المواد الأولية لصناعاتها باسعار

زهيدة وتسخر اليد العاملة لصالح الامبراطوريات الصناعية المترامية الأطراف ، وعملت الشعوب البيضاء على تدعيم المسيحية وتثبيت أوتادها فى بلاد المغول والدولة العثمانية وديار العرب والمغرب وممالك الهنود الحمر فى المكسيك وبيرو وغيرها عن طريق الفتوحات الأسبانية والبرتغالية والهولاندية والانكليزية والفرنسية ، وتفاوتت المدنيات والقوى إلى حد أن امبراطورية المكسيك للهنود الحمر غلبت على أمرها وفتحت بواسطة جيش من الأسبان يقل عن ستمائة جندى ، كما فتح بيزار Pizarre امبراطورية بيرو بجيش يقل عن العدد المذكور .

وكلما اصطدم البيض بالملونين ظهرت قوة مراسهم وتفوقهم فى معدات الحرب والمدنية المادية ووسائل الرفاهة ، مما أدى إلى اتساع الهوة بين الفريقين وإلى كراهية متبادلة لا حد لها وإلى احتقار كل للاخر ، وزاد الطين بلة رواج تجارة الرقيق الأسود نتيجة اكتشاف الأمريكتين والعثور على طريق سهل من أوروبا إلى الهند ، ونشاط التجارة والصناعة ، وجوب أساطيل الغرب عباب المحيطات سعيا وراء الذهب والفضة والنفائس والعطور والزيوت والأخشاب والحاصلات الزراعية والحرائر والفراء وسائر المواد الأولية ومواد الترف والبحث

عن الأيدى العاملة الزهيدة السعر للاشتغال فى حقول المسيسبى ، وتعمير مزارع الولايات المتحدة فى أوائل عهد تحررها من التاج البريطانى سنة ١٧٧٦ ، وترتب على هذا أن اشتد حقد السود على البيض تبعا لمظالم الأخيرين واضطهادهم للمغلوبين على أمرهم ، وتضاعف صلف البيض واتخذ كبرياؤهم وصفا سياسيا واجتماعيا لم يعرف له مثيل من قبل فى تاريخ الكراهية العنصرية مما حدا إلى عزل مجتمعات السود فى الولايات المتحدة الأمريكية وحرمانهم من مدارس البيض وجامعاتهم وأحيائهم ومن ارتياد المطاعم والمقاهى والحدائق العامة وركوب عربات النقل إلا بقدر معين وفى حدود أسبقية البيض وسيطرتهم على السود ، وصار تجار الرقيق المسيحيون وصنائعهم من زعماء النخاسة السود يقتنون السود من شواطىء أفريقيا عن طريق السبى وأسواق النخاسة كالسائمة ، ويسوقونهم بالسياط ويذيقونهم ألوان العذاب ويسخرونهم فى خدمة مزارع ملاك الأراضى الواسعة البيض فى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة اللويزيانا وحول نيوأورليانز فى حقول القطن وفى المستعمرات البريطانية فى البحر الكاريبى ، وبدأت الضمائر الإنسانية الحرة تثور لسوء المعاملة ولانتشار تجارة النخاسة مما لا يتفق مع مبادىء الحريات

القرن الثامن عشر وحقوق الإنسان بمقتضى القانون الطبيعى وحريته بمولده والسماحة التى تنادى بهـا الأديان والمبادىء الإنسانية .

وحاول المستعمرون الأسبان والبرتغال والإنـكليز وغيرهم أن يبرروا سوء فعالهم بآراء لا يقبلها المنطق مثال ذلك أن سوء معاملتهم للسود وللسكان الأصليين للأمريكتين بسبب أنهم ليسوا من نسل آدم وحواء وأنهم ليس لهم روح بشرية تسمو إلى اتصالها بالرب وأن روحهم مشتقة من فصيلة أقل من الإنسان وأن روح البيض وفصائلهم إنسانية وتختلف عن روح وفصيلة السود مما يتعين معه الفصل بين الفريقين ، وطبيعى أن هذه الأسانيد لا تتفق مع الحقائق العلمية وتطور النوع ونظريات النشوء والارتقاء .

ورأينا بعد ذلك ما نجم عن الإنقلاب أو الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر . واتساع نطاق الصناعات والإنتاج وانتفاخ جيبات البنوك والشركات واستخدام العمال بالملايين وامتداد آفاق الاستهلاك إلى شتى المصنوعات التى لم تعد سلع رفاهة وقد أصبحت فى متناول الطبقات العاملة ، وثراء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية عن طريق الآلات والصناعات التى تستخدم المحركات البخارية ، مما أدى إلى زيادة نشاط وقوة

وثراء وعدد ونفوذ وبطش البيض ، ونشأت فى معمعة الرخاء الاقتصادى والاتساع الاستعمارى نظريات داروين Darwin وغيره من الطبيعيين بتطور وارتقاء النوع والبقاء للأصلح وسائر نظريات الوراثة لماندل Mandel مما كان يتفق مع مطامع الشعوب البيضاء وأفكارهم الاستعمارية ، ولم يعد ينظر الإنسان فى حماة هذا النشاط القائم على النهم الاستعمارى وانتهاز فرصة الضعف الحربى للشعوب الملونة وقلة حيلتها ولم تجد فلسفاتها قتيلا لم يعد ينظر إلى الآخر نظرة الأخ إلى أخيه .

ولم يك الجو السياسى لذلك العصر وهو عصر كفاح القوميات فى منتصف القرن الماضى يساعد على إخماد نيران الكراهية بين الأجناس وإنهاء حرب البيض القائم على القوة لعزل الشعوب الملونة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية الجديرة بالحياة على أساس أن مبادىء سيادة الشعب والمساواة بين البشر وحقوق الإنسان مقصورة على الجنس الأبيض ولا حقـوق للسمر والسود وأن رسالة الرجل الأبيض هى إدخال مدنيته إلى ديار السود والسمر عنوة ، ومعنى هذا تسخير الأخيرين لصالح التسلط الغربى

وحمل كفاح القوميات وتكوين الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية والتغنى بوحدة اللاتين ونهضة شعوب البلقان — وكانت

ضمن الايالات التى تتبع الدولة العثمانية — على انفجار براكين من كراهية البيض للعناصر الملونة فى مختلف أنحاء العالم ، وتحولت الكراهية إلى حروب استعمارية فى الصين وأدت حرب منها إلى حرق القصر الصينى للامبراطور ، وقتل مئات الألوف من أهل الصين الأبرياء ونكل بهم فى حرب الأفيون والبوكسر والحملة المختلطة من الجيوش الأوروبية التى دبرت ضد الصين لفتحها عنوة لمصلحة الأسواق الغربية ، وترتبت على التفرقة العنصرية الممقوتة حملات جردت على قبائل عزلاء فى أفريقيا والأمريكتين وإبادتها بالجملة لصالح المصانع والمصارف الغربية وسيطرة الرجل الأبيض وما يدعيه من رسالة المدنية وفى الواقع هى رسالة خرقاء جوفاء تزعم زوراً ضرورة فرض وصايته على سائر الأجناس ، ولم تجد المؤتمرات فى وضع حد لتجارة النخاسة وتحرير البشرية من الاستعباد والاسترقاق بالجملة وفى إيقاف هذه الحملات القاسية ، وما جدوى تحرير فرد إذا كان الاستعباد يفرض بالجملة على شعوب تعد بالملايين لصالح الاستعمار الغربى ؟

كما ظهرت فى نفس الوقت المذكور مؤلفات متعددة تبحث فى فكرة عدم المساواة بين الأجناس البشرية وفى سيادة الشعب الآرى ، وتكونت فى ذلك العصر مدرسة لها نظرياتها أطلق عليها

مدرسة أهل الشمال L'Ecole Nordique تزعمها الكاتب الفرنسى الكونت دى جوبينو Comte de Gobineau والموسيقى الألمانى المشهور فاجنر Wagner والانكليزى صاحب النزعة الألمانية ستيوارت شامبرلن Stewart Chamberlain والأمريكيان لثروب ستودارد Lathrop Stoddard وماديسون جرانت Madison Grant ، وتتلخص آراؤهم فى أنه لا تقوم مساواة بين الأجناس البشرية نظراً لتفاوت كفاياتها وقدرتها وتكوينها الطبيعى واستعدادها لهضم الحضارات ، ولا تتغير صفات جنس باختلاطه بجنس أو بأجناس أخرى ، وأن عبقرية الجنس لا تتأثر إلا قليلا بالمناخ والبيئة والزمن ، والجنس الأبيض هو وحده منشىء المدنيات . وزعموا أن الجنس الأبيض هو الآرى المنحدر من شمال الهند والقوقاز ، ويلاحظ أن هذه الآراء بما فى ذلك صفة الآرية وقصر الكفاية والحضارة على الجنس الأبيض لا تتفق مع الحقيقة العلمية ، فالكفايات مصدر نموها العلم والمعرفة والتجارب والاختلاط وهى تنمو فى مختلف الأجناس كما أن كلمة الآرية تنصب على اللغة أكثر منها على اللون والجنس .

وسارت الفكرة العنصرية التى تناولها علماء الغرب لصالح الاستعمار والرجل الأبيض جنبا إلى جنب مع تصرفات الساسة وخطاباتهم كاتساع الامبراطورية عن طريق التجارة كما زعم

جول فيرى Jule Ferry ، وتأيدت بواسطة أقلام بعض كتابهم مثال ذلك ما زعمه كيلنج Kepling فى عبارة «عبء الرجل الأبيض ومهمته» White mans'burden والغرب غرب والشرق شرق وهما لا يلتقيان وضرورة أن يفرض الرجل الأبيض مدنيته وعقيدته الدينية على الشعوب الأخرى ، وهكذا برزت مشكلة التفرقة العنصرية فى الميدانين الاجتماعى والسياسى وغذتها كتابات وقصص وتمثيليات غربية متعددة تظهر الشرقى والملون فى صورة المخادع الغادر والأبيض فى صورة البرىء المفعم شهامة الذى يذهب ضحية الأول ، وهذا مالا يتفق والواقع وقسوة أسواط النخاسة وبنادق ومدافع حرب الاستعمار فى معارك الصين وأفريقيا وإيران وحرب الترنسفال وفتح الهند وإخماد حركات المطالبة بجلاء الانكليز عنها وعن غيرها من الأراضى التى اغتصبوها من أصحابها .

ويمكن التساؤل وقد أبرزنا فى استعراض عام تطور وتفاقم مشكلة التفرقة العنصرية فى عصرنا الحالى..هل هناك أجناس نقية يمكنها الاعتزاز بنقاوتها وكفايتها ، وما أهم هذه الأجناس وما هى وسائل التفرقة العنصرية وأنواعها وأهدافها وآثارها فى المجتمعات السياسية ؟ وهذا ماسنحاول شرحه فى الفصول التالية.

نقاء الأجناس

إن محاولات الكتاب لإثبات أثر نقاء الجنس فى سموه ووجوب الإبقاء على هذا النقاء ليحتفظ بسيادته على سائر الأجناس ، لا تعدو الدعايات السياسية وهى تستخدم لأهداف الفتح والحرب ، ولم يعد يحتفظ بهذا النقاء من الأجناس إلا بعض أهالى أواسط إفريقيا وقلة من الهنود الحمر وسكان حوض الأمازون وبعض جزر الباسيفيكى من الوطنيين الأصليين وأهل أرض النار فى جنوب قارتى العالم الجديد ، ولا تدل درجة حضارة هؤلاء الأقوام وتفهمهم العالم الحديث على مبلغ ما يتمتعون به من معرفة وكفاية رغم نقاء عناصرهم .

ويمكن أن نقسم الأجناس إلى أربعة أجناس رئيسية ، وهى البيض والسود والصفر والحمر وقد نضيف إليهم أيضا السمر ، غير أنهم يتداخلون ويختلط الحابل فيهم بالنابل نتيجة الهجرة والحروب والغزوات وتبادل المنافع بين الشعوب على مدى العصور والأجيال .

وكثيراً ما نرى بين الشعوب التى تتمسك بقومية معينة

أشكالا مختلفة بين القصيرة والطويلة ووجوها عريضة مفرطحة Brachycephale وأخرى مستطيلة ضيقة Dolichocephale وأجساماً ممتلئة وأخرى نحيلة ، واتفاق أو اختلاف التكوين والسحن ليس له الأثر الذى زعمه بعض المتعصبين للعنصر فى العمل على نقاء الأصل الآرى والمحافظة عليه حتى يستمر فى أداء رسالته وقيادة دفة المدنية وسيادته على سائر الشعوب ، وقومية الشعب وقدرته وتماسكه ترجع إلى مجموعة عوامل باجتماعها وتآزرها فى بناء المجتمع السياسى تكون أمة ودولة ، ولا أهمية فى ذلك لنقاء العنصر .

ونرى اختلاط الأجناس بين الشعوب البيضاء وغيرها ، كما يمتزج بفضل الغزوات وأعمال السبى الدم الأسود وبالمثل الدم الأصفر ، ويتداخل الدم الأبيض فى الدم الأصفر والأسود والأحمر ، وينشأ عن هذا خليط لا يقل كفاية عن صاحب الدم الأبيض النقى إن لم يفقه قوة وقدرة ، ولوحظ أن الغزوات والحروب وإعمال السيف فى الرقاب لم يترتب على هذه العوامل المدمرة القضاء على الجنس ، بل نشأت فى أعقابه نتيجة امتزاج المستعمرين من أسبان وبرتغال بالأهلين كما رأينا فى أمريكا الوسطى والجنوبية وخاصة فى المكسيك وبيرو والبرازيل والأرجنتين شعوب وفيرة العدد من سلالة الهنود الحمر والغزاة

الفاتحين ، وكانت المقاطعة الاقتصادية ووسائل الحيلولة دون الاختلاط بالسكان الوطنيين أشد وطأة على الجنس من الحرب مما تسبب فى إبادته تدريجيا ، كما شوهد هذا فى المستعمرات التى هاجر إليها الإنجلو سكسون فى أمريكا الشمالية واستراليا ، فسار أهل البلاد الأصليون فى طريق الانقراض وتعذرت عليهم حياة العزلة فى نظام اقتصادى لا يدركون كنهه ، بينما استطاع مجتمع السود فى أمريكا الشمالية أن يستمر فى نموه فلم تك العزلة بينه وبين الغالبية تامة وكان التعاون وتبادل النافع بين المجتمعين فى جملته مستمرا إلا فى أحوال معينة وبقدر محدد .

ويمكن أن نذكر أن الشعوب العربية شأنها شأن غيرها أكثر ارتكازها فى قوميتها على حضارتها وبيئتها وطبائعها لا على بشرتها ونقاء عنصرها ، فقد اختلط العرب بغيرهم من أواسط آسيا إلى قلب افريقيا فالأندلس فالبرانس وما وراءها فصقلية وجنوب إيطاليا ، والجنس العربى النقى كما زعم الأستاذ بيتار Pitard اختلط بغيره منذ خروجه من شبه الجزيرة وانتشر فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد امتزج دمه بدماء غريبة عنه بفضل الحرب والهجرة والتجارة ورغبته الملحة فى التنقل والرحيل بلا كلل ، وأصبح من الصعوبة بمكان التمييز بين العربى النقى

والمستعرب،وصار العربي هو الذي يتميز بصفات معينة تحتوى عليها مدنيته التي خلعها على الغرب ، وترتب عليها بدء حركة انبعاث العلوم ، وفى ذلك يقول الأستاذ بيتار مشيرا إلى الأيادى البيضاء للحضارة العربية على الغرب « إننا مدينون بقسط لا يستهان به من مدنيتنا للعرب ، وتتساءل كيف يكون وضع عالم حوض البحر المتوسط الذى عاصر مدنية العرب وشاطرها نشاطها لو أن القرآن صار كتابنا ، وقد كان من المحتمل أن يصبح كذلك إذا لم تمزق المنازعات والأحقاد امبراطوريتهم الزاهرة » .

والعرب قوة اجتماعية وسياسية لا بعصبيتها بالعرق بل بنظمها وحضارتها ، والعرب فى دفاعهم عن أراضيهم فى فلسطين يستندون إلى ما شادوه من مدنية فى المنطقة وحقهم فى ديارهم التى عاشوا فيها أجيالا وتحتوى على ذكرياتهم وتراثهم وثرواتهم، وهى موطن أهلهم وفيها مساجدهم وقبورهم وبيت المقدس حيث تتمثل فيه مدنية بهرت ولا تزال تبهر العالم وفيه المسجد الأقصى وذكرى أقوى ما يهز مشاعر المسلمين وهو الإسراء وفيها جامع عمر ، ولا يفعل العرب كما يفعل الصهيونيون فى الدفاع عن هذه البقعة العزيزة عليهم فى ادعائهم الصهيونى إلى مزاعم حق العنصرية الباطل والعودة إلى موطنهم المزعوم الذى انفرط عقدهم منه منذ عشرات القرون حول جبل صهيون .

واختلاف سحن وأشكال العرب يرجع إلى التاريخ القديم منذ الفتح العربي لمصر ، ويذكر العالم الإيطالى جفريدا روجيرى Giffrida Ruggeri وهو من المتخصصين فى علم الأجناس أنه بفحص هيا كل مقابر العباسية بالقرب من القاهرة ويحتوى جوفها على بقايا الفاتحين من العرب لمصر يتضح أنها متباينة الأصول وغالبيتها من الهيا كل التى كانت تكسوها الوجوه العريضة المفرطحة بينما العربى الأصيل يتميز بالوجه المستطيل الضيق ، كما يذكر المتخصصون فى علم الأجناس أن العربى الأصيل ليس بسهل وجوده حتى منذ فتوحات العرب الأولى ، وهو يتميز بأنه فارع القوام ممشوقه مع ميل إلى النحافة ومستطيل الوجه أسمر البشرة زيتونى اللون مع اتساع العينين وسوادهما ، ونرى هذا فى بعض القبائل الرحل من البدو ، ويذكر أحد المتخصصين فى الأجناس الأستاذ سايس Sayce ما معناه أن جنسا أقوامه طوال القامة بيض البشرة زرق العيون سكنوا غرب النيل وهم يقربون من البدو وامتدت هجرتهم إلى فلسطين ، كما وقعت شبه جزيرة العرب بين تيارين : الآرى من الشرق والبربر من الغرب فضلا عن العموريين من الشمال ، وتأثرت بسكنى هؤلاء الناس هذه الديار ، كما أن بعض القبائل

قدمت إلى بلاد العرب ودخلتها عبر الخليج الفارسى أو البحر الأحمر ، وهم أصل العرب برءوسهم المستطيلة كما يشبهون سكان إفريقيا ، ويمكن التساؤل فى هذه الحالة هل العرب ينتمون إلى أصحاب الوجوه المستديرة المفرطحة أم الوجوه المستطيلة طوال القامة ، وليس هناك أصل واحد للعرب وهم لم يتمسكوا جديا بالعنصرية ولم يفرقوا بين الأجناس ، ولم ينظر العرب باحتقار إلى غيرهم من الشعوب الأخرى، كما لم يكن لون البشرة الأسود بحائل دون الاختلاط معهم وصعود مراتب الوزارة والإمارة وقد كان كافور الإخشيدى أحدالذين تولوا الإمارة فى مصر فى عهد الإخشيديين عبدا أسود ، والشعب فى نظر العرب يمثل روحا ومبادىء معنوية متماسكة وتاريخا وذكريات ورغبة فى العيش المشترك فى تضامن وتعاطف ، ولم يتمسك مفكروهم بالكيان المستقل للعرب على أساس أنهم الشعب المختار الذى يجب أن يقود سائر الشعوب كما زعم غيرهم وكما يفعل الصهيونيون فى أنهم شعب الله المختار الذى يجب أن يسود بحكم عنصره النقى إلى فلسطين التى عاش فيها فترة منذ آلاف السنين ثم انحسر عنها وانتشر فى أرض الله الواسعة ولم تعد له أية صلة أو حقوق تربطه بها ، وقامت فيها الحضارة العربية

واستوطنت فيها الأمة العربية منذ فجر الإسلام .

ولا يعتبر اليهود جنسا قائما بذاته كما يزعم زعماؤهم الصهيونيون، فهم يرمون من تعصبهم الديني السياسي أن يربطوا الدين بالعنصر وقد زعموا أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس وأنهم يمثلون جنسا واحدا يتضح في أشكالهم وسحنهم ، غير أن اليهود اليوم سرى عليهم ما سرى على غيرهم في امتزاجهم بالغير ، وفيهم الطوال والقصار والنحاف والسمان والسمر والشقر وتتباين أصولهم ولا سند لهم في مطالبتهم بالوطن القومي المزعوم ليضم هذا المزيج المختلط المتضارب من الأجناس البشرية ، ولا يعقل أن يقوم جنس على أساس الانتماء إلى دين معين مضى على التبشير به أكثر من خمسة وثلاثين قرنا ، ويذكر بتيارد بمناسبة اليهود في مؤلفه عن الأجناس « إذا نظرنا إلى مملكتي يهودا وإسرائيل وهما نواة تاريخ هذا الشعب فإننا نرى دورهما ضئيلا في هذا الميدان التاريخي ، وأهمية اليهود نجمت عن انتشارهم في العالم ... وأشخاصهم وجماعاتهم وليس شعبهم هم الذين لهم بعض الأعمال السياسية البارزة ... » ويذكر أيضا « أن علماء الأجناس البشرية ـ فيما عدا بعض اليهود المتعصبين لفكرة معينة وهي فكرة العنصر اليهودي النقي ـ يقررون أن كافة اليهود أبعد

من أن يتبعوا ما يسمى الجنس اليهودى » ، ويقول رينان « ليس هناك شكل type يهودى معين بل هناك أشكال وسحن يهودية متعددة » .

واليهودية أوالصهيونية تضم جماعة دينية انقلبت إلى حزمة سياسية تعصبية ، وهى تجمع أناساً مختلفى الأشكال والألوان من الفلاشا Falacha فى الحبشة والألمان هم أقرب إلى السحن الجرمانية والتاميل Tamel وهم يهود الهند السمر والخازار Khazares وهم اليهود الذين يسكنون فى البلاد الطورانية ومن أصول تركية ، ويضاف إلى ذلك اليهود الذين كانوا يقطنون اليمن وهم نحاف قصار ويهود شمال أفريقيا والشرق الأوسط وهم أقرب إلى السحن الشرقية والسامية ويهود أوروبا وهم أقرب إلى الأشكال الآرية والغربية بعيونهم الزرقاء وقاماتهم الطويلة ورءوسهم التى ليست على نسق موحد منها المستطيلة والمستديرة والضيقة والمفرطحة وشعورهم المتباينة بين الأصفر والأسود والناعم والخشن ، وقاماتهم متباينة ، فيهود بولونيا لاتزيد أطوالهم عن مائة وستين سنتيمتراً ويهود الشرق وروسيا واوديسا تذهب أطوالهم إلى متر وتسعة وستين سنتمتراً وهكذا . .

واليهود فى العالم وعددهم نحو خمسة عشر مليونا يمثلون أصولا

وأجناساً متنوعة ، ويرجع هذا إلى اختلاطهم بسائر البشرية رضوا بذلك أم لم يرتضوا به وجاء قسراً ، ومع مابذلوه من جهد لجعل مجتمعهم داخل دائرة يهودية مقفلة فإنهم بحكم هجرتهم واندماجهم فى الشعوب الأخرى وزواجهم المختلط وادعاءاتهم بأنهم من عنصر واحد لا ترتكز إلى أى سند من العلم أو الواقع .

ونرى تباين سحنهم حتى فى البلد الواحد الذى يعيشون فيه فنرى فى ألمانيا مثلا أنهم يتميزون فى بادن برءوسهم العريضة وفى كولونيا وفرانكفورت بوجوههم المفرطحة أو المستطيلة ، كما أن اليهود من المذهب السفاردى Seqhardin وهم حسب زعمهم يمثلون الأصل النقى الارستقراطى لليهود غير أن سحنهم وأشكالهم وأجناسهم متباينة ، كما أن اليهود الذين طردوا من الأندلس العربية مع العرب سنة ١٤٩٢ تختلف سحنهم وأطوالهم عن سائر اليهود ،وخاصة يهود روسيا وألمانيا وتختلف ألوان وأطوال وتكوين رءوس يهود أوروبا الشرقية والقوقاز وآسيا الوسطى وغربها وفارس ، وهم بين الأسود والأحمر والطويل والقصير وذوى الشعور الداكنة أو الكستنائية أو الصفراء .

أما يهود شبه جزيرة العرب أو من كان يقطنها منهم وخاصة يهود اليمن وكان عددهم منذ نحو ربع قرن أكثر من ٤٠٫٠٠٠ يهودى يمنى ويزعم البعض أنهم يمثلون أقدم وأنقى اليهود أصلا ، وقد لاحظ الأستاذ بيتارد ما اتصفوا به من قصر القامة والنحافة فارتفاعهم الذى لا يتجاوز ١٫٥٥ متراً وطول نسائهم وهو ١٫٤٦ متراً وهم سمر مستطيلو الوجوه وشعورهم الفاحمة ، هذه الصورة مصدرها طبيعة المنطقة وسوء التغذية وهم لايختلفون كثيراً فى اشكالهم عن سكان سائر المنطقة ، ولكنهم يختلفون عن أشكال سائر أهل شبه الجزيرة من العرب ، فهم أطول قامة وأشد قوة وامتلاء جسم ، ويهود اليمن يختلفون عن يهود الشام ، فالأخيرون أطول قامة وتبلغ نحو ١٫٦٦ متراً ، وعن يهود فلسطين الذين يشبهون الفلاح المصرى وفلاح الشرق الأوسط والعديد منهم رءوسهم مستطيلة ، كما تتباين سحن وقامات وتكوين رءوس يهود أقطار أفريقيا فى مصر وطرابلس والمغرب ، وهؤلاء يختلفون عن يهود أوروبا وأمريكا ، ويقول بهذه المناسبة الأستاذ بيتارد مفنداً مزاعم الأصل الواحد لليهود « إن الإسرائيليين يكونون جماعات دينية واجتماعية قوية النفوذ وثيقة التضامن غير أنها متباينة العناصر إلى أبعد الحدود »

ويقول أيضاً « يتضح ضعف حجج الذين ينادون بالعنصرية ويودون إقامة جبهات متضادة بزعمهم أن هناك شعباً مسيحياً يواجه شعبا إسرائيليا ، غير أنه ليس هناك شعب مسيحى كما أنه ليس هناك شعب إسلامى أو شعب إسرائيلى بالمعنى المقصور على جنس معين » ثم يواصل الشرح فيقول « قد يكون هناك فى كافة الجماعات اليهودية الهامة عدد محدود من الأفراد يمثلون اليهودى الأصيل الأشورى برأسه المستطيل » ويتساءل الأستاذ بيتارد بمناسبة إدعاءات اليهود بعراقة عنصرهم « نتساءل تجاه بعض التحاليل الدراسية للجنس فى مختلف الشعوب إلى أى حد تحتوى جماعة يهودية على العنصر اليهودى الأصيل ، هذا العنصر الذى نشأ بجوار البحر الميت وكان منه الشعب ، الذى سمى بالشعب المختار ؟ .. » ويرد على زعم اليهود الباطل بالنفى ويؤكد أن تباين اليهود فى السحن والأشكال يرجع إلى الاختلاط والاندماج طوعاً أو كرهاً مما يسقط حجتهم فى نقاوة عنصرهم ، ويبقى فى هذه الحالة الشق الآخر من العنصرية فى نظراتهم السياسية إلى سائر المجتمعات وهو التمسك بالتفرقة العنصرية ومهاجمة سائر الشعوب واضطهاد العرب وتشريدهم من ديارهم تبعا لما تلقوه من الدروس من النازيين فهم يصبون جام غضبهم

وتعصبهم على العرب الذين أكرموهم وعاشوا معهم فى سماحة وصفاء فى ظل البساطة والمساواة العربية والإسلامية على مدى القرون ، ثم يعكسون ما صادفهم من اضطهاد وتشريد فى ألمانيا النازية وروسيا القيصرية قبـــل ذلك على أكثر الشعوب سمـاحة بطبائعها التى رعتها فى عصور الازدهار والانبعاث فى دولة الأمويين والعباسيين وإمارات الأندلس ودولة الخلفاء والسلاطين فى القاهرة وعلى ضفاف البسفور ، ويؤكد الأستاذ هانز جونتر Hans Gunthér وهو من المتخصصين فى الأجناس فى مؤلفه بعنوان « أصول الأجناس فى التاريخ الأوروبى The Racial Elements of European History» خطأ اليهود فى ادعاء نقاوة الجنس فيقول « إن اليهود شعب كسائر شعوب العالم ، وقد ينتمى أصلا إلى أديان عدة ، وهو كغيره من الشعوب مكون من عدة أجناس وأصول » ، كما يذكر جونتر أن مايدعيه اليهود من أنهم جنس قائم بذاته بتفكيره المستقل لايمت إلى الحقيقة العلمية بصلة وأنها مجرد أفكار تعصبية ترمى إلى إبقائهم فى دائرة مغلقة لأغراض عنصرية .

وأخيراً نذكر ما جاء فى مؤلف مشهور لآلان بيرنز

Alan Burns بعنوان « التفرقة بين الأجناس والألوان » Le Préiugé de Race et de Couleur بخصوص الشعوب الإسلامية والعربية وسماحتها وبعدها عن فكرة الاضطهاد والتفرقة العنصرية وقد اتخذ الدراسات التاريخية لتونبي مرجعاً هاما له « إنه من المقرر أن الإسلام كان أكثر سماحة من المسيحية فيما يختص بالزهو والتباهي بالأصل والعنصر والتعصب للفكرة القومية ، وهو لا يعبأ بألوان البشرة والطوائف ، ويحطم الحواجز التي تقام بين الناس وبين الإسلام أو أي دين آخر غير الإسلام وبين الرجال والنساء من أصول مختلفة ، وشوهد أن الغزاة العرب بنوا بمحض إرادة الطرفين بنساء من بلاد وأصول غير عربية ، كما زوجوا بناتهم لمسلمين من السود ، وهذه حقيقة بعيدة المدى . . . » ، وهكذا نرى إلى أي حد لا تعير الشعوب العربية اعتباراً للعنصرية ولا تقوم في ديارها المشكلات الجسام التي شجرت بسبب العنصرية في البلدان الغربية وبين شعب إسرائيل وسائر الشعوب ، وإذا كان للإسرائيلي أن يطالب بحق في حدود الدولة التي يعيش فيها فليطالب به كمواطن له حقوق المواطنين وعليه أن يؤدي واجباته حيال الدولة ، ولكنه لا يطالب به باسم طائفته الصهيونية أو الشعب اليهودي .

صور فى التفرقة العنصرية

التفرقة العنصرية فى أوضاعها الحاضرة التى تبرز فى سوء معاملة الأفراد والمجموعات البشرية بعضها لبعض من النواحى الاجتماعية والقانونية والسياسية والإنسانية بوجه عام إحدى مساوىء عصرنا الحاضر ، وهى تتعارض مع المثل الإنسانية ومبادىء حقوق الأفراد والاتجاهات الدولية والسعى فى استتباب السلام العالمى مع ضرورة المساواة بين البشرية بلا اعتبار للجنس والدين واللغة ، وسنأتى ببعض الصور الهامة فى التفرقة العنصرية وسياسة تعصب الجنس الأبيض ونظره إلى سائر الأجناس نظرات السيد المتحكم فى موارد الأرض وساكنيها ، وفيما يلى البيان :

١ — سياسة استعمارية للشعوب البيضاء ، وكانت التفرقة سبيل سلطانها فى الأراضى التى احتلتها وعملت على استعمارها لصالحها ، وهى تخصها بعسكرها وجالياتها وصنائعها وشركاتها ومشروعاتها ومصارفها ، وتفرق فى المعاملة بين السادة والمحكومين ، فيعيش المحتلون والجاليات المتسلطة وأتباعهم فى معزل عن حياة الوطنيين ، ولهم محاكمهم وقضاتهم ونواديهم

ومستشفياتهم ومدارسهم ، وينهج المحتل نحو سياسة تسخير المغلوب على أمره لخدمة الاقتصاد الاستعمارى ، ويبدأ بإخضاع الأمراء الصوريين أو تنصيب غيرهم من أنصار الاحتلال للدولة الحاكمة ، وينتهى بإجبار الهندى مثلا على الركوع لمساعدة الضابط الإنجليزى على امتطاء جواده والعامل الصينى على جر عربات السياح وسائر أبناء الجاليات الأوروبية فى سنغافورة وهنج كنج وشنغهاى ، وهكذا كانت تقوم هوة سحيقة تنبىء عن الحقد والاحتقار نتيجة الاحتلال العسكرى والنهم الاقتصادى لصالح الاستعمار الصناعى والتجارى الحديث .

٢ — سياسة عزل اجتماعى وسياسى لأهل البلاد الأصليين المستضعفة لصالح الأوروبيين الذين قد يكونون أغلبية أو أقلية حسب الوضع الاجتماعى . وذلك بإقصاء الوطنيين أصحاب البلاد الأصليين عن المجتمع وحرمانهم من الحقوق السياسية مع إقامة مجتمع سياسى من الأقلية كما هو الحال فى اتحاد جنوب إفريقيا وروديسيا الجنوبية والأصول الأوروبية هناك نحو ٢٠ ٪ من السكان السود الذين يبلغ عددهم فى الاتحاد نحو عشرة ملايين وفى روديسيا الجنوبية نحو مليونين ونصف ، والبيض هناك يملكون ثروة البلاد ويشرعون لها ويقودون دفة الحكم ، وليس للسود أو السمر بما فى ذلك الجاليات الهندية والآسيوية وغيرها أية حقوق سياسية

أو اجتماعية ، كما أن البيض يعزلون الألوان الأخرى عن المجتمع المتمدين ويحرمون على أبنائها ارتياد قلب المدن والأماكن العامة واستخدام وسائل نقل البيض ومباشرة الأعمال العامة المثمرة ومشاطرة البيض المنتديات والمطاعم والفنادق وسائر المحال العامة ولا يسمحون بحال بالزواج المختلط ، وتراعى هذه التفرقة القاسية بين البيض والسود فى الولايات المتحدة الأمريكية وتبلغ نسبة السود والملونين إلى البيض هناك نحو ١٠ ٪ من مجموع السكان البالغ عددهم نحو ١٨٠ مليون نسمة .

٣ — سياسة تجمع بين سوء المعاملة واتباع وسائل النبذ والعزل والتنكيل وأن يظل الوطنيون سكان البلاد الأصليون فى حالة تاخر وجهالة وفقر شديد للإبقاء على سلطان المستعمر الحاكم فى مجتمع أعزل يعيش على الفطرة ، ويعمل المحتل على تسخير السود لصالحه على مستوى الرقيق باسم إخماد ثورات السود والإبقاء على عادات القبائل وطبائعها والسماح لها بمباشرة شعائرها الدينية فى حدود النظام العام مع تحريم العادات المعوجة والمتوحشة والتى لا تسمح بها الكتب السماوية والشرائع الغربية كالتزاوج بين الآباء والأمهات ، والأعقاب وأكل لحوم البشر ، ويتصرف المستعمرون كالبرتغاليين فى فلول مستعمراتهم

فى أفريقيا على هذا النحو ويتبعون وسائل عسكرية صارمة ، وحكامهم لهم سلطات مطلقة على الوطنيين ولا يسمحون لهم بان يبلغوا مستوى ساداتهم أو أن يختلطوا معهم فى أية صورة من الصور. وكانت هناك وجوه من هذا الحكم فى بعض المستعمرات الإنكليزية والفرنسية السابقة ، والوطنيون أصحاب البلاد هناك لايتمتعون بأية حقوق سياسية،والتعليم بينهم لا نصيب له وحقوقهم المدنية وحرياتهم منتقصة ، وتسود بينهم أعمال السخرة لوفاء الضرائب وسائر الالتزامات للدولة ، وهى تنزل بالفرد كما ذكرنا إلى مستوى الرقيق .

٤ — سياسة تقوم على شطر المستعمر المجتمع شطرين متباينين أحدهما يسمو على الآخر ويتمتع بحقوق سياسية واقتصادية ومدنية كاملة ، وكأن البلاد له وحده وهى جزء من أرض الوطن الأم ، والآخر يحرم من الحقوق الأساسية ولا يباشر إلا الأعمال الثانوية ويصبح نشاطه محدوداً وكسبه ضعيفاً وذلك لإجباره على ترك طبائعه وعاداته وقوميته ولغته وعقيدته والاندماج فى المجتمع الحاكم ، وبذا يفقد كل عزيز عليه يوحى له بالكفاح فى سبيل تحرير وطنه وإخراج الغاصب من دياره ، ولقد اتبعت فرنسا هذه السياسة فى العديد من مستعمراتها

وفرضت، كشرط أساسى لتمتع الوطنى بالحقوق السياسية ، نبذ قوميته وقبول الحياة السياسية الفرنسية وحبذا الانخراط فى الكثلكة ، وكانت هذه السياسة تحكم شمال أفريقيا المحكومة بفرنسا وكانت تضيق الخناق على شعب الجزائر على أساس اعتبار فرنسا لهذا الوطن العربى الكريم جزءاً من الأرض الفرنسية بحكم الفتح والقوانين الأساسية الصادرة بالضم سنة ١٨٤٨ ، وفرق الحاكم بين الأقلية من الجاليات الفرنسية والأجنبية هناك والأغلبية من العرب أصحاب البلاد ، وسعى المستعمر إلى إجبار العربى على نبذ شخصيته وحضارته ودينه لكى يتمتع بحقوق الأقلية الأوربية وفصل مجتمعه عن المجتمع العربى إلا إذا قبل العربى أن يتنزل عن قوميته وشرائعه وتقاليده لصالح فرنسا ، كما عمل المستعمر على تحطيم المجتمع العربى بإغلاق الأبواب فى وجه العربى عند تقلد الوظائف العامة ومباشرة النشاط الاقتصادى وحرمانه من التعليم والعناية الصحية والاجتماعية ، ومن بين عدد عرب الجزائر البالغ عشرة ملايين نسمة كان عدد الذين يتمتعون بحق المواطن الفرنسى فى مارس سنة ١٩٤٤ نحو ٦٠٫٠٠٠ عربى مسلم ، وكان يشترط لمباشرتهم حقوقهم الانتخابية أن يكونوا فى دوائر منفصلة عن الأوروبيين ، وسخرت قوانين المستعمر الغالبية

المسلمة من العرب وعددها كما ذكرنا عشرة ملايين لصالح أقل من مليون من المستوطنين الأوربيين فى الجزائر ، وقد انتهى سلطان المستعمر الفرنسى على تونس ومراكش سنة ١٩٥٦ باستقلالهما ثم على الجزائر باتفاقات إفيان سنة ١٩٦٢ باستقلالها أيضاً بعد كفاح مرير بين قوات التحرير الجزائرية وجيش المستعمر انتهى بفوز الشعب الجزائرى الذى كسب حريته بدماء نحو مليون جزائرى ضحوا بأرواحهم فى سبيل الوطن .

● — سياسة أساسها الزهو والتعالى فى الصلف والتمسك بأهداب أفكار خاطئة تقوم على التفرقة بين الأجناس ، ولاسند الجنس وتفاوته إلا التعلق بفكرة خاطئة تهدف إلى سيطرة سياسية وتحقيق أطماع استعمارية على حساب شعوب أخرى لاتقل كفاية عن المعتدى إن لم تبزه ، وقد تستند الفكرة على الدين ثم تزعم أنه يحدد تفاوت العنصر ، كادعاء اليهود الصهيونيين الذين يهدفون إلى تكوين دولة منهم ، أنهم شعب الله المختار وأن رسالتهم إجلاء أصحاب البلاد العرب عن فلسطين ليحلوا محلهم ، وأن يكونوا فى المنطقة دولة ذات جنس قائم بذاته على أساس دينى تعصبى ينقلب إلى أداة سياسية معتدية تريد أن تغلق المنطقة على اليهود الصهاينة بعد إجلاء المسلمين والمسيحيين عنها ، ولقد

ثبت علمياً فساد ادعاءاتهم، ولقد امتزجت دماؤهم بسائر الدماء البشرية كما تدل على ذلك سحنهم المتباينة كما سبق أن بينا، ولقد لجأ الصهيونيون فى إسرائيل إلى ضروب الاضطهاد والظلم يذيقونها لسائر القوميات التى تعيش بينهم وفى مقدمتها العرب، وهم يحرمونهم من الوظائف العامة والجندية ويضيقون عليهم الخناق فى مباشرة نشاطهم الاقتصادى ويجبرونهم على العيش فى أحياء معينة دون السماح لهم بتركها على طريقة الغيتو قديماً فى أوروبا، ويفرضون عليهم أقسى القيود فى تنقلاتهم، وذلك علاوة على ما يرتكبونه ضد العرب من انتزاع أراضيهم وطردهم من ديارهم وتشريدهم وهم فى حالة من الضنك والفاقة لا مثيل لها، وقد كانوا سادة يملكون المزارع والضياع والأموال العريضة .

كما أن فكرة العنصر النقى، مع ما فى ذلك من تعصب صارخ، خرافة . إذ أن نقاء العنصر ومحاولة الإبقاء على اللون دون اختلاط وادعاء سيادة الجنس الأصفر اليابانى أو الآرى الجرمانى ثبت بالدليل العلمى بعده عن الصحة، ولقد بثت انتصارات اليابان فى الحرب فى مطلع القرن الحالى على روسيا فى الشعب اليابانى روح الاعتزاز بالجنس وسموه على سائر الأجناس، ونشأت

فى أعقاب هذا الزهو سياسة أن آسيا للآسيويين ومعنى هذا أن آسيا للاستعمار اليابانى مع ضرورة إقصاء الرجل الأبيض عن الميدان على أساس أن المنطقة مجال حيوى لليابان بعد أن أخذ عدد سكان الجزر اليابانية يتزايد وتضيق رقعة جزرها الضيقة عن توفير أسباب العيش الكريم للعدد المتزايد .

ولقد تمسكت السياسة الألمانية للريخ الأول ثم الثانى فالثالث بفكرة سمو العنصر الآرى مع العلم بأن كلمة الآرية تنصرف إلى اللغة أكثر من انصرافها إلى الجنس ، وينحدر منه فى زعم البعض الشعب الجرمانى الذى حقق اتحاده سنة ١٨٧٠ على أساس جمع شمل الشعوب الجرمانية التى تعيش فى مختلف الإمارات الألمانية وعلى رأسها مملكة بروسيا ، وأكد الإمبراطور غليوم الثانى بشدة ـ مستنداً إلى سياسة الأحزاب الاستعمارية والعسكرية ـ فكرة سمو الشعب الجرمانى على أساس سيادة الثقافة والحضارة الألمانية على غيرها وبالتالى المواطن على سائر المواطنين وضرورة الحصول على مكانه اللائق فى قيادته دفة السياسة العالمية ، وأكد الإمبراطور أن رسالته التى وكلها إليه الله باعتباره راعى ألمانيا الكبرى هى أن يأخذ بناصر الشعب الجرمانى ويقوده إلى تصدر سائر الشعوب وسيطرته على أوروبا

وقد أكد هذه السياسة هتلر فيما بعد وسار فى طريق سيادة ألمانيا على أوروبا ، وسار الشعب الجرمانى تقوده فلسفة العنصرية.وسبق أن بذر بذورها جوبينو الفرنسى الذى لم يصادف كتابه عن العنصرية نجاحاً فى بلاده بينما صادف قبولا فى ألمانيا على أساس المجال الحيوى وضم الشعوب الجرمانية وسلالاتها إلى الوطن الألمانى الموحد ، كما تأيدت الفكرة بالنشيد الذى رددته جيوش ألمانيا القيصرية ثم ألمانيا النازية فى اعتداءاتها على جيرانها وهو « ألمانيا فوق الجميع » Deuleh Siler Alles وسارت جحافل الألمان بقيادة القيصر ثم بقيادة هتلر فى غزو كبير ساحق لتحقيق السيادة الجرمانية الآرية على أساس العنصرية والوطن الألمانى الكبير والمجال الحيوى فى ظل تاج الهوهنزلرن ثم فى ظل الصليب المعقوف ، ومنيت بالهزائم النكراء نتيجة سياستها الخرقاء .

وسائل التفرقة العنصرية

يتطلب تفهم مشاكل التفرقة العنصرية ومدى خطرها على حريات الفرد وحقوق الإنسان والسلام العالمي شرح أهم وسائل التفرقة العنصرية كخطوة فنية تتبع ما شاهده العالم من هذه التفرقة وقد جئنا بصور متعددة منها في الفصل السابق، وذلك بغية العمل على القضاء عليها في سبيل رفع المستوى المعنوي والمادي للبشرية وضرب الاستعمار ضربات قاصمات ووضع حد لأسطورة الفوارق بين الناس وأن الأجناس تتفاوت على أساس أرستقراطيتها ومايشبه الطوائف ، وهي على درجات في الكفاية والمقدرة وأداء رسالة الحضارة ، وعلى رأسها الجنس الآري المنحدر من الهند ولغته الأصيلة « الأندو أوروبية » Langne Indo Eropéenne ، وهو يقطن اليوم بصفة غالبة في أوروبا ، وتتطلب الدراسة بحث العوامل التمهيدية لوسائل التفرقة العنصرية ثم الوسائل الهامة لهذه التفرقة من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وآثارها ، وفيما يلي البيان :

أولا : العوامل التمهيدية لوسائل التفرقة العنصرية :

لقد مهدت عوامل عدة لتحكم الجنس الأبيض فى سائر الأجناس منذ نشاط الاستكشاف الجغرافى واتساع الامبراطوريات فى القرن السابع عشر ، ثم تسخير الشعوب البيضاء للمكتشفات العلمية الحديثة وقوى الطبيعة كالبخار والكهرباء فى الصناعات ، ولم تقترب نهاية القرن الماضى إلا وقد قبض الجنس الأبيض على ناصية الحياة السياسية والاقتصادية العالمية وفرض رقابته على جل الكرة الأرضية ، ويمكن أن نحصر هذه الوسائل التمهيدية فيما يلى : —

١ — كسب الشعوب البيضاء مزايا اقتصادية من احتلالهم ورقابتهم لأراضى واسعة نضرة عامرة بالسكان زاخرة بالخير ، وترتب على هذا قبضهم على ناصية الحياة السياسة للعالم الحديث وفوزهم على سائر الأجناس فى الكفاح ، وثبتت أقدام الاستعمار بالاحتلال والحراب والمبشرين وصنائعه من الجاليات الأجنبية والمغامرين والخونةمن أهل البلاد وبالقوانين الخاصة والامتيازات الأجنبية التى يتمتع بها المحتلون وأنصارهم .

٢ — انتشار أموال وشركات وبنوك أوروبا أو بعبارة أخرى الأجناس البيضاء فى مختلف أصقاع العالم نتيجة التفوق العسكرى والاحتلال وفتح الأسواق عنوة ، وكانت ألمانيا

القيصرية من أواخر الدول التى نزلت إلى ميدان الاستعمار ، وما لبثت أموالها وصناعاتها منذ مطلع القرن الحالى أن انتشرت فى أمريكا اللاتينية وخاصة البرازيل والأرجنتين وفى شمالى إفريقيا ، فضلا عن زحفها على شرق أوروبا إلى قلب الدولة العثمانية .

٣ — تفرقة صارخة مترتبة على التفوق الاقتصادى والعسكرى انتشرت فى بعض البلدان المتمدينة المتقدمة اقتصاديا وعلميا وفنيا مثال ذلك الولايات المتحدة الأمريكية تميز الجنس الأبيض عن الأجناس السمراء وتعزل هذه عن الحياة السياسية ونشاط الإنتاج والكسب المثمر ، ويؤيد هذه التفرقة القانون ، ويلاحظ هذا الوضع الشائن فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى صدور قانون الحقوق المدنية هناك فى يوليو سنة ١٩٦٤ وفى وجنوب إفريقيا وروديسيا الجنوبية .

٤ — تقسيم المجتمع البشرى إلى جنس راق هو الجنس الأبيض ويتميز فى نظر بعض الكتاب خطأ بانه الأقوى والأصلح فى قيادة دفة المدنية وتقع على كتفيه أعباء النهوض المطرد بالإنسانية ، وأجناس ملونة لا تصل إلى مستوى الجنس الأبيض ويتعين فرض الوصاية عليها وهى دون الجنس الأبيض فى عراقته وكفايته وقدرته على أداء الرسالة الإنسانية .

وهذه الوسائل التمهيدية مما يصعب القضاء عليها بين عشية

وضحاها ، وإذا أدى سير عجلة الزمن وتطور العلاقات الدولية والسير قدما بالقانون الدولى إلى الأمام وما جاء فى ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان من ضرورة المساواة بين الأجناس إذا أدى ذلك إلى تصفية الاستعمار فرواسب التفرقة تظل زمنا جاثمة فوق صدور الشعوب الملونة والمستضعفة يتعين عليها اليقظة والحذر لدفع أضرارها عنها مع أتباعها الحنكة والحكمة تبعا لحاجتها إلى الغير للحصول على المساعدات للنهوض بمرافقها ورفع مستوى الفرد معنويا وماديا والقضاء على البطالة والجهل والفاقة بين الملونين ، ومما يوحى بالتفرقة أو بالتعالى على أساس ما تبقى منها القواعد العسكرية المنتشرة فى مختلف أصقاع العالم وتسيطر عليها جيوش البيض ونفوذهم الاقتصادى وقبضهم على ناصية الأسواق وموارد المواد الأولية ، كما أن الشعوب البيضاء لا تسلم بسهولة بتعديل اتفاقاتها الدولية وتشريعاتها التى تحابى البيض على حساب الملونين كتمسك بريطانيا باتفاقات الحماية وما يتبعها من اتفاقات الاتحاد لعدن وجنوب شبه جزيرة العرب والمحميات وكتشريعات وقواعد العرف فى الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد جنوب إفريقيا وفلول المستعمرات البرتغالية ، وعلاوة على ذلك فإن نظرات الكراهية والازدراء التى يصبها

البيض من ضيق العقول وقصيرى النظر لن تخف بسهولة و بسرعة ويمكن للطرفين من البيض والملونين تبادل التحيات وعبارات أو علامات الترحيب والاحترام دون غضاضة وحقد دفين بتشريع يصدر بإنهاء التفرقة وبنوع خاص فى القاطعات والعواصم الكبرى التى اشتهرت بالتمييز بين الألوان فى المعاملات وعلاقات الناس بعضهم ببعض كجنوب الولايات المتحدة الأمريكية واللوزيانا و نيواورلياتز وواشنطن وكبريات مدن استراليا واتحاد جنوب إفريقيا وفى بعض أحياء لندن وغيرها من مدن المملكة المتحدة .

وإن المرارة التى يكنها الأسمر للأبيض نتيجة الازدراء تؤدى حتما إلى مصادمة وأعمال عنف كما نشاهد فى اتحاد جنوب إفريقيا وفى الطرق الانتقامية التى يتبعها الفريقان المتطاحنان فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد تذهب إلى إضرام النار فى منازل السود وابدانهم والتمثيل بجثثهم بوحشية تفوق وحشية القرون الوسطى نتيجة رمى الفرد بالمروق عن الدين قديما ، ويمكن بسهولة القضاء على هذه الأعمال الهمجية إذا عدل البيض عن موقفهم وتبادلوا مع السود احتراما باحترام ، وأن يفكروا أن التعصب والحروب الدينية والتفرقة العنصرية من هذا النوع قد

وضعت أوزارها باحترام الفكر والعقيدة ، وهكذا يمكن تلافى صراع الأجناس باتباع وسائل تشجع على التعاون بينها على وتيرة التسامح الدينى ، ويتعين أن تبدأ خطوات هذا التسامح بإصلاح دستورى أساسى بالنص مثلا فى دساتير البلدان التى تتعصب للجنس الأبيض بالمساواة التامة بين المواطنين وبين الأجناس وبإصدار تشريعات تحرم قصر بعض المدارس والجامعات والأمكنة العامة ووسائل النقل والأحياء على البيض دون الملونين ، وهذا الإصلاح إذا كان ظاهره سياسياً فأن باعثه عنصريا .

ثانيا — بعض الوسائل الهامة فى التفرقة العنصرية من النواحى الاجتماعية والقانونية والسياسية : —

١ — بعض الوسائل الهامة فى التفرقة العنصرية من الناحية الاجتماعية :

تختلف الوسائل التى يتبعها البيض أو غيرهم فى التفرقة العنصرية من شعب إلى آخر وكذلك من بلد إلى آخر ، وهى أن اتحدث فى فكرة العزل والتعالى والزهو والكراهية والازدراء ونهم الاستغلال وارستقراطية جنس على آخر فإنها تختلف فى وسائلها وما يبدو من جنس حيال آخر والأمثلة على ذلك عديدة فالأوروبى كان ينظر إلى سائر الأجناس نظرات تنبىء عن التعالى وشراهة الاستغلال مع تذرعه بانه يؤدى رسالة تقع

على عاتق الرجل الأبيض وهى نشر المدنية ومبادىء الإنسانية ، ومما لا شك فيه أن ما يدعيه هو سلاح استعمارى لقضاء لباتنة ، وكان يعامل الصينى فى هونج كونج والرجل الأصفر فى سنغافورة والهندى فى بومباى ومدراس وكلكتا على أنهم أدوات لملء جيوبه بالأموال واتساع مشروعاته الصناعية ، كما كان يعامل الإفريقى كأداة لهوايته المفضلة وهى صيد الفيلة وسائر السباع أو كقطيع يدر عليه الربح الكبير نتيجة استخراجه المواد الأولية من أدغال القارة المظلمة وأحراشها أو مناجم الماس والفحم فى روديسيا وسائر مقاطعات اتحاد جنوب إفريقيا .

والانجلو سكسونى فى أمريكا الشمالية ينظر إلى سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر نظرات كراهية ولكنها لا تصل إلى حد الاحتقار ، بينما ينظرون إلى السود المستحضرين من إفريقيا وقد وصل عددهم إلى نحو عشرين مليون نسمة فى الولايات المتحدة الأمريكية نظرات احتقار وضرورة فصل مجتمعهم عن الرجل الأبيض ، واللاتينى فى أمريكا الوسطى والجنوبية ينظر إلى أهل البلاد الأصليين وخليط السود والحمر وسائر الأجناس التى من أصول زنجية نظرات السادة إلى التابعين إذ يعتمدون عليهم فى تسخيرهم فى العمل والإنتاج ، غير أنهم يمتزجون معهم

ويعملون على إدماجهم فى مجتمعهم على أســاس انخراطهم فى الـكثلـكة ، وتصرف اللاتين فى العالم الجديد يختلف عن تصرفهم فى سائر الأصقاع التى سيطروا عليها فى العالم القديم إذ هم عادة يعزلون مجتمع الوطنيين الأصليين عن مجتمعهم عزلا تاماً فى إفريقيا وغيرها .

ويلاحظ أن التعالى انتسابا إلى جنس معين ليس بقاصر على الرجل الأبيض فإن مجتمع الرجل الأسود لا ينظر بارتياح إلى الرجل الأبيض ، وزعم ابن بطوطة فى كتابه عن رحلاته فى القرن الرابع عشر أنه شاهد فى زيارته للسودان احتقار الأهلين هناك للرجل الأبيض ، ويتضح هذا فى الزيجة المختلطة ، والشاهد عند البدو أن زواج البدوية برجل غريب عن عشيرتها وجنسها يؤدى إلى مأساة قاسية تزهق فيها روح هذه الفتاة التى تعتبر فى نظر مجتمعها آثمة ، وهذا ما يحدث أيضا فى مجتمع الغجر على شدة فاقته ، وينظر الهنود الحمر إلى الرجل الأبيض نظرات احتقار ويطلقون عليه صاحب الوجه الشاحب ، كما أن أجناس الهنود الحمر المتعددة المختلفة العشائر تنظر كل منهـا للأخرى نظرات حذر وازدراء ، ويحتقر الهندى الأحمر ابن عشيرته أو جلدته صاحب البشرة البيضاء الذى يسكن بناما ،

ولا يرغب الهندى بأى حال من الأحوال أن يختلط جنسه ولو على سبيل الخطا بالجنس الأسمر تبعا لاتحاد الجنسين فى لون البشرة ، كما تتسع هوة الخلاف بين الطوائف من أبناء الهند الذين قد يكونون من جنس واحد ، كما يتمسك الجنس الأصفر وعلى رأسه شعب اليابان بارستقراطية جنسه وسيادته على سائر الأجناس وبإيمانه بسموه فى الفكر والكفاية ، وكانت معاملة اليابانيين للتجار الهولنديين الذين يتعاملون معهم تنم عن الازدراء والكراهية خصوصا فيما بين سنة ١٦٤١ وسنة ١٨٥٨ ، كما يتسامى اليابانيون على سائر شعوب آسيا الصفراء ويزعمون أنهم قادتهم ، وقويت عندهم هذه الروح بعد دحر جيوش الميكادو وأساطيله القيصرية فى الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ فى صراعها على النفوذ فى آسيا ومنشوريا بالذات ، ويزعم الصينيون أن كافة الأجانب من البرابرة المتوحشين وأنهم وحدهم السادة والمتمدينون ، ويذكر اليهود فى كتبهم التعصبية عن أصل إسرائيل استناداً إلى كتبهم الدينية أنهم شعب الله المختار كما سبق أن ذكرنا وأن الله فضلهم على غيرهم من الشعوب ، ويلاحظ فى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من المناطق التى تدخل فى العالم الجديد على مجتمع السود أنهم يفرقون بين أنواع من

السود وأخرى ، وأن جلتهم تنظر إلى الأجناس الصفراء واليابانية نظرات ازدراء ، ولا يسلم مجتمع السود والسمر فى العديد من بلاد إفريقيا كنيجيريا وغانا وغينيا واوغانده من التفرقة العنصرية فى قلب المجتمع الأسود أو الأحمر ، وكذلك تلاحظ هذه التفرقة فى اتحاد جنوب إفريقيا فى صميم المجتمعات الملونة من الهنود والسمر والسود حيث توجد فواصل بين الهنود وسائر الملونين .

غير أن مشكلة التفرقة العنصرية بمأساتها لم تشغل المجتمع العربى والإسلامى ، بعكس العالم المسيحى الذى فرق بين الطوائف والألوان قديما ، فقد كان المبشرون يباركون السود بتنصرهم باعتبارهم إخوة فى زعمهم على نمط السيد لخادمه والرجل الناضج للطفل ، وكانت فى داكار - يوم كانت تابعة لفرنسا - نواد يسيطر عليها المبشرون ، ورغم أن غالبية المجتمع المسيحى من السود فقد كان من العسير العثور على رجل أسود هناك وإذا عثر عليه كعضو فى النادى فإنه لا يقابل بالترحاب ، وهذا ماحدا بالسود فى إفريقيا إلى نظرهم إلى البيض نظرات حقد وازدراء وإلى انعزالهم فى طوائف دينية مستقلة عن طوائف البيض ، بينما شوهد فى المجتمعات الإسلامية فى ازدهار الدولة العربية وسطوتها هدم الفوارق بين الألوان والأديان ، وكثيراً ما تزوج العرب

الفاتحون نساء من الوان متعددة كما تزوج بنات سادة العرب رجالا من المسلمين الملونين ، ولم يظهر الإسلام حقده على لون البشرة ، وكثيراً ماقرب الخلفاء النصارى إليهم واستوزروهم واستشاروا اليهود فى شئونهم وطلبوا إليهم تطبيبهم ، ورأينا فى عهد تولى المغول والترك زعامة الإسلام أن جيش الإنكشارية كان مفتوحا لمختلفى النحل ولم يبعد منه إلا بعض السود لأسباب غير عنصرية .

واختلفت درجات نظر الشعوب الأوروبية إلى التفرقة العنصرية ، فالألمانى ينظر إليها على أساس تعصب عنصرى ودخول الشعوب الجرمانية فى حظيرة الوطن الألمانى الكبير مع المحافظة على نقاوة العنصر السيد ، والإنكليزى ينظر إلى شعوب ماوراء السويس بل وماوراء المانش على أنها أقل منه تبعا للون بشرتها ، وهو شديد التعصب اجتماعياً للون بشرته ، أما الفرنسى فهو لايعير اهتماما كبيراً للبشرة والزيجة المختلطة ، غير أنه يعمل على إدماج المجتمع الغريب عن لاتينية الفرنسى فى مجتمعه على أساس إخضاعه للتشريع الفرنسى وخاصة فيما يتناول الأحوال الشخصية ، واهتم الإيطالى بالتفرقة العنصرية بعد احتلال الفاشية الحبشة وضمها إلى امبراطوريتها سنة ١٩٣٦ لتحقيق فكرة

السلام الفاشى على نسق سيادة روما فى حوض البحر المتوسط وأفريقيا، وحظّرت الفاشية متبعة خطى قوانين نورمبرج العنصرية الزواج والاتصال الجنسى بين الحبشيات والإيطاليين الذين اعتبروا من عنصر أرقى من العنصر الحبشى المغزو، ويتمسك الهولنديون بعنصريتهم تمسكا شديداً، وكانوا يراعون الانعزال التام عن الأهالى فى أندونيسيا يوم كانوا يحكمونها، وسلالتهم يتبعون نفس السياسة مع المبالغة فيها فى إتحاد جنوب أفريقيا.

ولوحظ أن التفرقة والتعصب لها والتمسك بافكار لاتقوم على أسس إنسانية أو علمية ضد الملونين تبرز فى حالة وجود المرأة البيضاء فى مجتمع من البيض الذين يمثلون قلة فيما وراء البحار بين شعوب ملونة واصطحاب النساء لأزواجهن من الحكام والسادة الأنجلوسكون وغيرهم، وتتسع الشقة بين البيض والملونين نتيجة معاملة المرأة الأوروبية للملونين بازدراء.

٢ — بعض الوسائل الهامة فى التفرقة العنصرية من الناحية السياسية :

إن التفرقة العنصرية تتخذ طريقها المعوج اجتماعياً، ثم كثيراً ما يصحب هذه التفرقة التى تسيطر على البيئة التى يعيش

فيها الأبيض والملون تشريعات لترسم حدود هذه التفرقة وتفرض الجزاء على من يحيد عن القانون وذلك لإقامة تدرج سياسى بين مجتمع وآخر ، والقانون الذى يوضع عادة لرد الحقوق إلى أربابها ولإنصاف المظلومين لايتسم بهذه الصفة فيما يتناول تنظيم التفرقة العنصرية ، إذ أنه يدعو إلى التمييز بين الأجناس والناس ويزيد فى بعد الشقة والكراهية على أساس جعل الدولة لصالح جماعة دون أخرى ، وهكذا لايؤدى القانون الغرض الذى من أجله يصدر عادة وهو تأييد حقوق الإنسان وحرياته ونشر العدالة والمساواة والإخاء بين البشرية .

وتتبع وسائل عدة فى التشريع للتمييز العنصرى للإبقاء على النفوذ الأوروبى وسلطان الرجل الأبيض حتى يمكنه أن يتحكم فى السياسة العالمية وموارد المواد الأولية ومسالك البر والبحر وثروات العالم الخام والمصنوعة من مزارع المطاط والأرز والشاى فى الشرق الأقصى إلى آبار البترول فى قلب الشرق الأوسط ومناجم الماس والفحم والذهب والأورانيوم فى اتحاد جنوب أفريقيا وكاتنجا وأمريكا الجنوبية وحوض الأمازون .

وهناك دستور وقوانين اتحاد جنوب أفريقيا وهو يقضى

الجنوبية وهى تقصى الملونين عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة وتعمل بهذه الوسيلة على استمرار بقائهم فى وهدة الجهالة والفاقة والتأخر ، ولقد أبدت بعض العناصر المعتدلة من البيض ميولا نحو حل المشكلة هناك حلا إنسانياً منذ بضع سنوات وطرحت على المحكمة العليا فى إتحاد جنوب أفريقيا مشكلة الملونين لمحاولة اتخاذ قرار لمصلحتهم فى مارس سنة ١٩٥٢ بمناسبة صدور قانون يرمى إلى التفرقة بين الأجناس فى الانتخابات بقصد حرمان الملونين من حق الانتخاب مع سائر المواطنين البيض واستبعادهم من قوائم الانتخابات العامة ، ويفرض عليهم أن يعطوا أصواتهم لأشخاص يرشحون لتمثيل الملونين فى البرلمان ، وتحبس قوائم أخرى على البيض من أصل أوروبى على أساس التعصب العنصرى للرجل الأبيض وهو من أصلين فلامنكى « هولندى » وأنجلوسكسونى مع العلم أن الملونين كانوا يتمتعون بهذا الحق منذ قرن من الزمان وهو أيضا مما لا يتفق مع الدستور ، ورفع الملونون الأمر إلى المحكمة العليا طالبين عدم شطب أسمائهم من قوائم الانتخاب استناداً إلى الدستور ، وقضت المحكمة بعدم دستورية القانون وبضرورة تمشى القانون مع سيادة الشعب دون تمييز بين الناس ، غير أن الحكومة هددت

المحكمة العليا بطرحها الأمر على البرلمان وهو السلطة العليا للتشريع وأن سيادته فوق أية سيادة أخرى ، ورفض البرلمان قرار المحكمة العليا وبحث المشكلة العنصرية أو بعبارة أخرى عدم دستورية القانون حتى يظل التمييز فى ميدان التشريع قائماً بين البيض والملونين ، ويلاحظ أن الهدف الأساسى من التشريع فى اتحاد جنوب أفريقيا أو فى المستعمرات التى يحكمها البيض الإبقاء على نفوذ المستعمر وسيادته دون منازع ومحاولة كبت حريات الملونين وعزلهم عن النشاط الاجتماعى والاقتصادى والسياسى حتى لا يشتد ساعدهم ويرتفعوا حسب تفكير البيض إلى مرتبتهم مما يترتب عليه خروجهم من الوصاية وتحررهم من تبعيتهم ، وتتعدد أمثلة الحرمان والعزل فتحدد مثلا للملونين مناطق يعيشون فيها ويحرم عليهم الزواج المختلط مع فرض عقوبة صارمة على المخالف ولا تسند إليهم أعمال هامة ورئيسية ، ويحدد كسبهم ولا يسمح لهم بالالتحاق بمدارس البيض وجامعاتهم أو دخول مستشفياتهم أو ولوج منتدياتهم ومطاعمهم وفنادقهم وأحيائهم ، وتسن لهم قوانين خاصة وترسم لهم نظم يتبعونها ، ويلاحظ أنه نتيجة قوانين العزل يحصر الملونون فى أماكن بعيدة عن قلب المدن الكبرى المتمدنية وخاصة

فى اتحاد جنوب افريقيا ، وإذا أقبلوا عليها فمن باب التجاوز ليعملوا خدما عند البيض ، ولا يعطى لهم إذن إقامة بصفة دائمة فى المدن وعليهم قطع عشرات الأميال للتوجه من قراهم ومساكنهم المنعزلة إلى المناجم والمصانع التى يعملون فيها .

وكانت التفرقة صارمة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مباشرة حقوق الإنتخاب رغم قسوة حرب الانفصال الأمريكية سنة ١٨٦٠—١٨٦٥ التى كان ضمن أسبابها المباشرة إصرار الجنوب على الإبقاء على العبيد دون تحريرهم وتصميم الشمال على تحرير العبيد وإنهاء التفرقة العنصرية ، فظل السود لا يباشرون فعلا حق الانتخاب إذ لا يستطيعون القراءة بما فى ذلك قراءة وتفهم نصوص الحريات فى الدستور الأمريكى ، وإذا طلب اليهم ذلك بحكم القانون تعذر عليهم تنفيذ هذا الطلب مما يترتب عليه استبعادهم من التصويت ، غير أن هذه المعاملة الدستورية الشاذة خفت حدتها بانتشار الحضارة والتعليم فى مجتمع السود الذين امتزجت روحهم بالحضارة الأمريكية أكثر من امتزاج الهنود الحمر بها ، إلا أنه ظلت قوانين تحريم الزيجة المختلطة قائمة كما حرمت عليهم فى بعض المدن أحياء ومدارس وجامعات البيض ومنتدياتهم ومحالهم العامة .

واتبع البيض حيال السود رغم صدور قرار المحكمة العليا فى السنوات الأخيرة لصالح السود فى ضرورة فتح المدارس والجامعات على مصاريعها للمواطن الأمريكى بلا تميز — سياسة العنف والبطش ، مما أدى إلى احتجاج جماعات السود ومظاهراتهم وزحفهم فى حشود كبيرة زحفاً سلميا إلى واشنطون العاصمة للاحتجاج على روح التعصب العنصرى ولحث الحكومة الاتحادية على صدور تشريع شامل ينهى بصفة حاسمة سياسة التمييز العنصرى فى بلاد الحريات التى حاربت الاستعمار البريطانى سنة ١٧٧٦ وأصدرت دستوراً تتوجه أسمى مبادىء حقوق الإنسان ويعد اليوم أقدم الدساتير المكتوبة المعمول بها . وحارب أبناء الشمال التعصب العنصرى وأنصار عدم تحرير العبيد وانتصروا عليهم لينشئوا مجتمعاً قائماً على المساواة بين المواطنين الأمريكيين بلا اعتبار للبشرة والجنس .

وإن صدر قانون شامل لإنهاء سياسة التمييز العنصرى من الناحية الإجتماعية أصبح قاب قوسين أو أدنى وقد انتهى مجلس الشيوخ من بحثه فى ١٩ يونية سنة ١٩٦٤ ووافق عليه واتخذ طريقه إلى مجلس النواب .

وهناك قوانين تهدف إلى التمييز العنصرى على أساس إقصاء

جنس معين تبعا لبشرته أو لحضارته التى يتميز بها أو لدينه ولمجتمعه الذى ينتمى إليه ، ولا يقف الأمر عند مجرد عزله عن المجتمع ، بل تنصب المحاولات على إيقاف نموه أو التخلص منه أو إبادته إذا أمكن، كاتباع دولة سياسة ، فيها القضاء تدريجياً على جماعة بسبب جنسها أو دينها أومبادئها السياسية ،وتسير السلطة التنفيذية فى هذا السبيل بانتظام وفق قوانين أوأوامر تصدرها السلطات على أساس التعقيم ومنع الإخصاب وإنجاب الذرية والاضطهاد الثقافى وإبادة اللغة والحضارة ، واتبعت النازية هذه السياسة ، وتسير فى نفس الخطة الصهيونية حالا فيا تسلكه تجاه العرب فى إسرائيل ، وكحرمان جماعة من التمتع بالحريات والمزايا التى للمواطن طالما هى تتمسك بحضارتها وثقافتها وعاداتها وشرط استظلالها بقوانين حماية المواطن والحصول على أعمال مجزية والكسب العريض ، خروجها من جماعتها واندماجها فى جماعة المستعمر المحتل ، كما كان الحال فى أفريقيا الشمالية العربية التى كانت مشمولة بالنفوذ الفرنسى وخاصة الجزائر قبل استقلال تونس ومراكش سنة ١٩٥٦ والجزائر سنة ١٩٦٢ . كما سبق أن بينا ، كقوانين نورمبرج التى أصدرتها النازية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥ فى حماة تعصبها تذرعا بحمايتها الجنس

الجرمانى وكان الهدف تحقيق فكرة ألمانيا الكبرى ، واستبعدت القوانين اليهود من الجنسية الألمانية وحرمت الزواج بين اليهود والألمان استناداً إلى التعريف الدستورى النازى للدولة الألمانية بأن « الريخ دولة تقوم على العنصرية » ، وصدرت قوانين متعددة فى الدولة النازية تفرض الغرامات المالية على اليهود وتصادر ثرواتهم وتحدد أحياء سكناهم وتمنع التحاقهم بالوظائف العامة أو مباشرتهم المهن الحرة إلا بقدر ، كما امتد التشريع على أساس العنصرية إلى اوروبا وأوروبا الشرقية وخاصة إيطاليا الفاشية بعد غزو الحبشة ورومانيا . وكتشريعات تنظيم الهجرة وذلك بتحديد نسب الذين تقبلهم الدول الغنية بمواردها التى يمكنها امتصاص عدد وفير من السكان لكسب العيش والثراء عن طريق الهجرة إليها من كل بلد من البلدان حتى يظل مجتمعها متماسكا ولا تصيبه هزات عنيفة نتيجة دخول عناصر غريبة عليه يتعذر عليه ـ تبعاً للكثرة العددية ـ امتصاصها وقد قيدت الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من جمهوريات العالم الجديد نسبة المهاجرين إليها سنويا ووضعت على رأس القائمة قبول مهاجرين جدد من الذين ينتمون إلى دول غرب اوروبا ويعقبهم أهل شرق أوروبا فالشرق الأوسط فالشرق الأقصى ، وهكذا فضلت الأجناس الإنجلو سكسونية والجرمانية على الأجناس الأخرى وذهبت

إلى حد إيقاف مهاجرة الشعوب الصفراء وأبناء الشرق إليها ، وقيدت استراليا و نيوزيلانده الهجرة إليها ورتبت تدريجيا نسب قبول المهاجرين إليها ووضعت على رأس القائمة الإنجلوسكسون وحرمت هجرة الشعوب الصفراء إليها حتى لا تهدد مجتمعها الذى هو من أصل أوروبى بالاضطراب إجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وتزول هناك دولة الرجل الأبيض نظراً لقرب الشعوب الصفراء منها وسرعة تكاثرها ، وينتهى المطاف بأن تصبح الجماعة البيضاء الحاكمة والقابضة على مرافق الحياة الاقتصادية أقلية تخضع لحكم المهاجرين من الشعوب الصفراء .

ويمكن التساؤل هل من حاجة إلى هذه التفرقة والتمييز بين فرد وآخر تبعا للونه وجنسه ؟ والجواب على هذا السؤال كامن فى حقيقة معروفة وهى أن الذكاء وهضم الحضارة وحمل شعلتها هذه الصفات ليست بمقصورة على جنس دون آخر ، فلقد أثبت الملونون كفايات على مر التاريخ ، وعلموا العالم الفلسفات والحكمة ، ولقد كان القصصى الفرنسى المشهور الكسندر دوماس Alexander Dumos من أصل ملون كما كان الشاعر الروسى المشهور الكسندر بوتشكين Poutchkine من أصل ملون أيضا ، وانبعثت الفلسفات والأديان والمدنيات من الشرق الأوسط وهو موطن الجنس السامى .

التفرقة العنصرية

فى الولايات المتحدة الأمريكية

إن المجتمع الأمريكى الذى يدعى تمتعه بحريات واسعة ويدفاعه عن حقوق الإنسان وسعيه فى رفع مستواه المعنوى والمادى ومساعدته الشعوب على التحرر من ربقة الاستعمار وانتشالها من وهدة التأخر والعوز والجهالة ويحتوى على متناقضات عديدة ، فى مقدمتها تعصب البيض هناك ضد السود وتمسك المجتمع وغالبيته من البيض بعزل السود عن المجتمع وتحريم اندماج السود فى جماعات البيض ومعاملتهم معاملة دون مستوى المواطن الأمريكى ، مع العلم بأن الشعب الأسود هناك لا يعرف له موطنا أو أرضا أو قانونا إلا ما تفتحت عليه عيناه تحت سماء الولايات المتحدة الأمريكية وما احتضنه الدستور الأمريكى .

ومشكلة الملونين هناك جديرة بالدراسة تبعا لأهمية الجمهورية الكبرى للعالم الجديد فهى إحدى الدولتين العملاقتين فى عالم اليوم القائم على نظام تطاحن الدولتين Bipolar system وهما وحدهما اللذان يمكنهما الاضطلاع بأعباء حرب حديثة شاملة :

الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى ولوفرة عدد الملونين هناك بين شعب يقارب عدده مائتى مليون نسمة ، ولأن المشكلة تتخذ وضعاً شائكا ولا تتفق وما يدعيه الشعب الأمريكى وحكومته من الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان والتمسك بأهداب المساواة بين الناس بلا تمييز بسبب الجنس أو العقيدة أو الفكرة . ولا يقف تعصب مجتمع البيض فى الولايات المتحدة الأمريكية عند حد عزل السود ومعاملتهم معاملة المنبوذين . بل يتناول أيضا كراهية المجتمع للهنود الحمر وهم أصحاب البلاد الأصليين ونظراتهم نظرات سخط وعدم رضا إلى مجتمعات المهاجرين من الشرق الأقصى والأوسط والمهاجرين الذين من أصول سلافية ولاتينية ومحاولتهم قصر ما يمكن أن يقدمه المجتمع من خدمات ومزايا خاصة بالعمل وتبادل المنافع على الإنجلو سكسون والمولنديين والمهاجرين من الشمال والبورتيان Puritans نواة البروتستنت فى العالم الجديد وأوائل من هبط إلى الأرض الأمريكية وقد قدموا على السفينة ماى فلاور May Floer سنة ١٦٠٨ وكان هدفهم شاطىء الهدسون وكان يتبع هولانده إلا أن الرياح المعاكسة دفعت بهم إلى المساشوستس Massachusets وغرضهم بناء مجتمع حر وقد تعاقد رؤساء

الأسر فى السفينة على ذلك فى ١١ نوفبر سنة ١٦٢٠ وتبعتهم سائر الجاليات المهاجرة هروبا من الاضطهاد الدينى ومذابحه فى أوروبا فى ذلك الحين ، ويلاحظ أن هذا المجتمع البروتستنتى الذى يكون الغالبية فى الولايات المتحدة الأمريكية لا يرتاح أيضا إلى المجتمع الكاثوليكى . غير أن مشكلة السود هناك أبعد غورا من سائر مشا كل التفرقة العنصرية فى الجمهورية الكبرى للعالم الجديد ، وتعد بحق وصمة فى جبين الإنسانية ومبادئها الحرة . وقد بدأت هذه المشكلة منذ خطف السود من أفريقيا وترحيلهم زرافات إلى حقول ومزارع المسيسبي ليعملوا هناك أرقاء بالسخرة ، وهذا يتطلب شرح المشكلة منـذ بدايتها وتطوراتها وفيما يلى البيان :

إن السود فى الولايات المتحدة الأمريكية البالغ عددهم اليوم نحو عشرين مليون نسمة ليسوا من دم أسود قح كسود إفريقيا ، فهم مخلوطون بأجناس أخرى من البيض والسمر الذين يقطنون موطن الهجرة ، وتتباين سحنهم ووجوههم وألوانهم وإن مالت إلى التكوين الزنجى ، ويعيشون منذ أجيال هناك ، وقد انتهى سبى الأرقاء وقضى على الرق منذ أجيال إلا أن وصمة الرق لا تزال ملتصقة بهم ، ولا يعرفون وطنا وحضارة ومكانا لكسب العيش إلا فى الولايات المتحدة الأمريكية التى

تعتبر أمهم الجحود ، والزنجى هناك أمريكى بلهجته ونزوله إلى ميدان الكفاح والكسب ورغبته فى حلب أشطر العلم وجمع المال والدفاع عن العلم ذى النجوم القومية للعم سام ، وهو أبعد فى امتزاجه بالحياة الأمريكية من أبناء الهنود الحمر وإن ذهبت ميوله إلى حد الصخب فى الموسيقى والألوان الزاهية فى الرسم والحركات العنيفة فى الرقص وقد غلب الطبع على التطبع ، والزنجى الأمريكى الذى حارب فى الجبهة الأوروبية فى الحربين العالميتين الأولى والثانية وفى الجبهتين الآسوية والإفريقية فى الحرب العالمية الثانية وقدم لوطنه راضيا محتسبا ضريبة الدم إلى أبعد حد لا شك يشعر بالألم لا للون بشرته الداكنة بل لمعاملة مجتمع البيض له على أنه من طائفة أقل منه لأنه من سلالة الرقيق رغم انقضاء قرن من الزمان على الصراع بسبب تحرير العبيد وكسب أهل الشمال المعركة لصالح تحرير العبيد لتحصل الصناعات الأمريكية على اليد العاملة رخيصة وبسهولة من السود على أساس حرية العمل بعد تحطيم سلاسل الرق التى كانت تجبر الزنجى وأسرته على البقاء فى أرض السيد من كبار ملاك مزارع القطن الواسعة فى الجنوب .

وتفسير ذلك أن أهل الجنوب أصحاب حقول واسعة تنتج

القطن وسائر الحبوب بوفرة وأراضيهم مترامية الأطراف تتطلب أعداداوخبرة من الفلاحين الذين يعملون فى الأراضى باستمرار ، وكان الأمر يسيراً حتى بدء القرن التاسع عشر باستحضار الزنوج عن طريق النخاسة وخطفهم من ديارهم فى إفريقيا لبيعهم سلعا رخيصة لأصحاب الأراضى فى العالم الجديد، ثم بقى السود فى الأرض التى كان يعمل فيها آباؤهم وتمسك أصحاب الأراضى بهم لصالح زراعاتهم وكسبهم وهم يعملون سخرة ، ثم جاء الانقلاب الصناعى برخاء عريض وثراء واسع للعالم الجديد وانتشرت الصناعات فى شمال الولايات المتحدة الأمريكية التى استقلت حديثا واحتاجت المصانع إلى الأيدى العاملة التى تشتغل فيها بأجور معتدلة ، وتطلعت ولايات الشمال إلى هجرة الأيدى العاملة من الجنوب لتغذية المصانع بالعمال وفى طليعتهم السود ، وكان يتعين فى هذه الحالة إطلاق سراح الفلاحين السود الذين يعملون سخرة فى الأرض ويعتبرون جزءا لا يتجزأ منها حتى يمكنهم الهجرة إلى الشمال والعمل فى مصانعه على أساس قانون العرض والطلب وحتى تستطيع المصانع أن تدفع أجورا معتدلة تقل عما قد تدفعه من أجور للبيض فى مناطق ليست مكتظة بالسكان ، وبذا يمكن للصناعة أن تنمو وتزدهر وأن تقوم بعمليات تصدير واسعة

النطاق إلى القارة الأوروبية ، وكان جل السود يقطنون الجنوب ويعملون فى حقول القطن ولا يستوطن منهم فى الشمال إلا عدد قليل ، وكان الجنوب زراعيا محافظا يتمسك ببقاء السود على حالهم من التأخر والرق ويعمل على اضطهادهم ، ليظلوا خاضعين للسادة من ملاك الأرض ، أما الشمال فهو صناعى متحرر فى تفكيره يأخذ بسياسة الحرية الاقتصادية والتنافس وحق المرء فى العمل بلا قيد عليه يحد من حركاته وسكناته ، وأصبحت سياسة الجنوب العبيد والسخرة وسياسة الشمال الحرية والعرض والطلب ورواج الصناعات عن طريق فتح أبواب المصانع للسود الذين يفدون من الجنوب ويتقاضون أجورا معتدلة ، وكان لا مفر من الصدام بين الشمال والجنوب لتباين السياستين وإصرار الشمال على تحرير العبيد مع العلم بأن الغالبية تقطن قلب وجنوب الجمهورية الكبرى للعالم الجديد وكانت نسبة السود إلى مجموعهم أثناء حرب الانفصال فى الجنوب نحو ٩٢ ٪ ، تبلغ نسبتهم إلى مجموع السود اليوم فى الجنوب نحو ٦٠ ٪ وهاجر العديد منهم إلى الشمال والغرب ، وتعقدت المشكلات السياسية بين الديموقراطيين والجمهوريين فيما يتناول الزراعة والصناعة والريف والجنوب زراعى والشمال صناعى ، وأيد الديموقراطيون بقاء الحال على

ما هي عليه فيما يختص بالملونين واستمرار استخدام العبيد سخرة ، وأيد الجمهوريون سياسة القضاء على الرق وإعلان حريات المواطنين في صراحة بلا تمييز بما في ذلك تحرير السود ، كما شجع الديموقراطيون في الجنوب سياسة تبادل حد واسع المدى للحاصلات الزراعية وتمسك الجمهوريون في الشمال بتعريفة جمركية مرتفعة لحماية الصناعات المحلية الناشئة وتشجيعها ونموها ، وهكذا استقرت تبعا لاصطدام المصالح الاقتصادية والمثل السياسية الحرب بين ولايات الشمال والجنوب من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٦٥ ، وانتهت بانتصار الشمال على الجنوب وتسليم جيوش الولايات المنشقة للقوات الأصيلة في ظل رئاسة إبراهام لنكولن Apraham Lnicoln وأفل نجم أنصار الحزب الديموقراطي مدة طويلة ، كما ذهب لنكولن ضحية متعصب للعنصرية غداة الانتصارات : ثم عاد الاتحاد متينا بين ولايات الجمهورية الكبرى للعالم الجديد في ظل حكومة الشعب من الشعب وللشعب govern ment & the people, py the people, fn the people وتحرر العبيد إسما لا فعلا ، وعدل الدستور لهذا الغرض تباعا ، وأعلنت المساواة التامة بين الأمريكيين بالتعديلين الثالث عشر والرابع عشر للدستور الاتحادى ، ولم يجرؤ رجل السياسة

والمشرع هناك على النص على الحيلولة دون تمتع السود بحقوقهم السياسية والمدنية ، غير أن البيض وهم يمثلون المجتمع الأمريكى عملوا عن طريق ساستهم وبرلماناتهم المحلية ثم البرلمان الأتحادى على قيد حريات السود من الناحية العملية ، فنعوهم من الإدلاء بأصواتهم فى الانتخاب ومن الوصول إلى صناديق الاقتراع ، وتعمدوا بسوء نية إلغاء أصواتهم بالجملة لأتفه الأسباب كخطأ فى المسائل الشكلية ، وأدخلوا على التشريعات الخاصة بتأييد الحريات وحقوق الإنسان شروطا لا تمس حرفية التعديل الدستورى إلا أنها تلغى تصويت الملونين كفرض شرط القراءة والكتابة وضرورة تفسيرهم مواد الدستور تفسيرا صحيحا وحيازتهم نصابا مالياً معينا بما فى ذلك التلكؤ فى استخراج بطاقة الناخب الملون ، واشترطت بعض الولايات على السود لمباشرتهم حق الإنتخاب أن يكون قد باشر الناخب أو أبوه أو جده التصويت سنة ١٨٦٧ ولم يك للسود حق التصويت فى هذا التاريخ ، كما انتهك حقهم فى التمتع بالتشريعات المدنية وحقوق المواطنين مما زاد فى عزلتهم ، ولا يستطيعون أن يصبحوا أعضاء محكمين وخصصت لهم أماكن معينة فى وسائل النقل والمحال العامة ، وحددت مدارسهم وكنائسهم ومستوصفاتهم

ومستشفياتهم ومطاعمهم ودور لهوهم ومقابرهم ، وحرم القانون الزواج المختلط بين السود والبيض ، واضطر السود عمليا أن يتركوا بعض الأعمال المجزية للبيض ، وصاروا يباشرون أعمالا ثانوية كخدم وحراس فى الفنادق والمبانى والسكك الحديدية وفى المطاعم والحوانيت ، ورغم هذا الظلم الصارخ فقد شغف الرجل الأبيض بإظهار كراهيته الشديدة للسود ، وهى تتضح من تصرفات الرجل الأبيض حيال جماعات السود وما يؤلفه من عصابات للفتك بهم كوسيلة إرهابية ليعدلوا عن المطالبة بحقوقهم المشروعة ، وسار البيض حتى هذه الساعة رغم ما ورد فى التعديل الخامس عشر للدستور الاتحادى بألا تمييز بين مواطن أمريكى وآخر بسبب بشرته ويحظر حرمان فرد من التصويت فى سياستهم العنصرية الخرقاء ، كما تبارى الحزبان الجمهورى والديموقراطى فى كسب ود الجماهير والحصول على المزيد من أصوات السود بالوعد بتحقيق المساواة التامة بين المواطنين.

واستمر البيض فى سياسة عزل الملونين قسرا عن مجتمع البيض وبطشوا بكثير من السود الذين خاطروا بارتياد محال البيض ، ثم اتجه الفكر الدستورى وخاصة بعد ظهور دساتير ما بعد الحرب العالمية الثانية يؤكد المساواة بين الأجناس والألوان

وحرية الفكر والعقيدة ، غير أن تصرفات الساسة تتضح فى أعمال يلبسها ذوو المصلحة ثياب المسوح غير أنها تنم عن الضغينة والحقد والكراهية التى تقتل التعاطف بين الناس .

ومما يزيد فى صعوبة المهمة أن مشكلة الملونين تتطلب حلولا حاسمة وإنهاء الاستعمار ولا تعالج بأنصاف الحلول وبالخطب الرنانة والعبارات البراقة بل بتصافى القلوب وتقاربها ، وإن شعب الولايات المتحدة الأمريكية بمجتمعه الإنجلو سكسونى لايزال يئنه من يصر رغم إلغاء الرق منذ أكثر من قرن من الزمان ورغم خوض البيض والسود جنبا إلى جنب حروبا شعواء لنصرة العدالة والإنسانية على العبودية والهمجية — على الإبقاء على ذيول الرق فى صورة التفرقة العنصرية ، إن لم يك ذلك من الناحية التشريعية فمن ناحية تصرفات البيض حيال الملونين .

ولقد تحرر المواطن الأمريكى فى أعقاب حرب الانفصال غير أن الفعل غير القول فأقيمت العقبات فى وجه مباشرته حقوقه السياسية والمدنية وحيل بينه وبين الكسب العريض والوظائف الهامة والعمل المجزى واتبعت حياله كما سبق أن بينا وسائل العنف لعزله عن مجتمع البيض ، وسبق أن رفض بعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وساستها تشجيع الرياضيين

السود ومقابلتهم رسميا لأعذار واهية بمناسبة فوزهم فى المسابقات الرياضية الدولية وغيرها من حلبات التنافس ، واحتل التعصب العنصرى حلقات اللاكمة وبعض الأحياء والمساكن ، وحدث أن أحرقت منذ بضع سنين مساكن للسود بأهلها وآثاثها لأن السود اختاروها بين أحياء لايسكنها إلا البيض ، وكثيرا ما يهبط أجر وثمن المنزل إلى أقل من ثلث المثل بمجرد سكنى أحد الملونين فيه إذاكان فى أحد الأحياء المقصورة على البيض ، ورغم ماجاء فى عبارات الأدب الإنجلوسكسونى والأمريكى وفى الدستور وتصريحات الساسة من التغنى بالمساواة والديموقراطية. فلا تزال روح التعصب للون الأبيض فى تصرفات البيض ، وجاء فى مسرحية « شكسبير » بعنوان « روميو وجولييت » ما يدل على كرهية الأحرار منذ قرون وهو « أن للرق صوتا أجشا ولا يمكن أن يرفعه عاليا » وقال جوزيف شينيه Gozeph Chenier الفرنسى « إن الله ابتدع الحرية غير أن الإنسان أقام بديلها صرح العبودية » ، وتهكم برنارد شو Bernard Show على الحريات التى يتشدق بها المسئولون وهم يهدفون إلى إقامة الرق فى صورة مستقرة « إن استرقاق الإنسان للإنسان بلغ أوجه فى عصرنا الحالى فى صورة عمل يحدد أجره بحرية تامة » .

وتوج التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكى القضاء على الرق وإعلان حريات العبيد فى قوله « لا يجوز بعد اليوم أن يبقى الرق أو السخرة إلا بسبب جريمة ارتكبها الفرد وتقرر عقابه قانوناً من أجلها، فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى أى مكان يخضع للتشريع الأمريكى » ، وكان هذا ترديد صوت لنكولن المدوى فى حملته ضد الرق وضمن عباراته سنة ١٨٦٤ « إذا لم يك الرق عملا مشيناً فلن يصبح أى تصرف آخر عملا مشينا شريراً » وانقضى الرق غير أن ذيلوله خيمت على العالم فى أعقاب المشكلات الاقتصادية وأزمات العمل والعمال والبطالة وضعف الأجور وما تصادفه الشعوب التى فى طريق النمو من مصاعب تتناول مكافحة الفاقة والجهالة وأمراض المجتمع المتعددة ، ويمكن أن تنطبق عبارات فردريل اميل Frederile Amiel سنة ١٨٥٢ على الوصف الصادق للموقف حيث يقول « لقد ألغينا الرق ولكننا لم نجد حلا ناجعا لمشكلة العمل ، ولم يعد هناك من الناحية القانونية أى رق أو رقيق ، ولكن من ناحية الواقع لا يزال الرق قائما ، وطالما أن غالبية الناس ليسوا أحراراً فلن نستطيع أن نتفهم ونحقق تكوين الرجل الحر » .

وليس فى الولايات المتحدة ضابط علمى يمكن بواسطته التعرف على الرجل الأسود ، ومرد الأمر فى هذه الحالة شهادة الميلاد والسحنة وملامح الوجه والجمجمة والشعر الأجعد الأشعث الخشن والأنف المفرطحة والشفاه الغليظة ، ويستدل بواسطتها على الأصل الزنجى أو غيره للتعرف على الشخص المراد إقصاؤه عن مجتمع البيض ، وعلى أساس هذه الوسائل بل وبالعين المجردة وملاحظة العادات والملبس يبدأ تشكيل مجتمع البيض بالسود ، ويمنع الأخيرون ــ وهم يدعون ترعمهم الحريات ــ إخوانهم فى الوطن من ارتياد الجامعات والمدارس والفنادق والمنتديات ومحطات المواصلات ويحرمون عليهم الأعمال الرئيسية ، وهناك تشريعات فى بعض الولايات المتحدة الأمريكية تذهب إلى أقصى عقوبات الغرامة والسجن تفرض على المخالفين من السود .

ويرتكب البيض ضد السود أشد ضروب التعصب والقسوة إلى حد التعذيب بالسياط ، وقد يذهبون فى جمعياتهم الإرهابية على نسق العصابات إلى تمزيق أبدانهم وحرقهم وإزهاق أرواحهم كما سنبين فيما بعد ، ويتذرع البيض بحجج واهية لقضاء غرضهم وانتهاك حرمة الديمقراطية كقولهم إن مجتمع السود يقوم على الكسل والجهالة والفساد والبعد عن وسائل الصحة والنظافة

والخلق السليم وأن اندماج السود فى مجتمع البيض يؤدى إلى إصابة الأخير بشوائب تحطم كفايته ونقاءه وخلقه وخاصة فى الجنوب ، وعدد السود لا يستهان به مما يؤدى إلى طغيانهم على مجتمع البيض وإصابته بالوهن والفساد وإدخال البدع الزنجية الممقوتة فيه ، غير أن هذه الاتهامات لا تقوم على أساس من العلم والحق والواقع ، ولقد أظهر الملونون كفاية فى أعمالهم وذكاء فى جهودهم العلمية ومثابرة فى إنتاجهم ، وأنشأوا الجامعات والمدارس والمستشفيات وظهر بينهم المحسنون والداعون إلى تحاب البشر وحريات الإنسان فى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ، ومن ينكر جهود الدكتور رالف بنش Ralhp Bunche فى سبيل السلام والدكتور لوثر كنج Luther King فى سبيل المساواة البشرية ، وقام منهم من ينادى بعلاج التفرقة العنصرية على أساس تقارب المجتمعين وهضم مجتمع السود لعادات البيض وقد كان يتزعم هذا الرأى بوكر واشنطن Poker Washington أحد أقطاب السود ومن كبار مثقفيهم ، وهو خير علاج فليس للسود مجتمع أصيل يمكن ردهم إليه لإيوائهم لبدء حياة جديدة فى أحضانه ، ولا يمكن علاج الحال بتشجيعهم على الرحيل إلى إفريقيا ، وكانت محاولة تشجيع إنشاء جمهورية ليبريا لهذا الغرض

فاشلة ، فالسود فى الولايات المتحدة الأمريكية لا يعرفون شيئا من أمور إفريقيا وليس لهم وطن غير التربة الأمريكية وقد انفصلوا عن القارة الإفريقية منذ قرون طويلة ، كما أن عزل مجتمع السود عن البيض يقيم العراقيل فى وجه النشاط الإقتصادى للجمهورية الكبرى للعالم الجديد ويؤدى إلى ازدواج أعمال يمكن بإدماجها توفير الجهد والمال وانصراف البيض والسود متعاونين فى سبيل التشييد والبناء مما يدعم السلام العالمى .

وقام صراع شديد فى السنوات الأخيرة بين البيض والسود ووصل إلى حد إراقة الدماء مدراراً ، وسار الزنوج صاراً زحفاً إلى واشنطون فى مواكب وعددهم عشرات الآلاف احتجاجاً على التفرقة العنصرية وعلى التلكؤ فى تنفيذ قرارات المحكمة العليا أو السلطات الإتحادية فى إلحاق أبناء السود بالمدارس والجامعات بلا قيد ، ويطالبون بإصدار تشريع حاسم يضع حداً للأحقاد والآلام المترتبة على عادات مرذولة لم يعد دستور الإتحاد يقرها ، واتخذوا فى زحفهم سياسة غاندى فى المسالمة مع الإحتجاج والوقوف من الحكومة موقفاً سلبياً وعدم اللجوء إلى العنف ، كما قام السود فى الجنوب بمقاطعة مركبات النقل

احتجاجاً على التفرقة العنصرية ، ولوحظت زيادة سخط السود تبعاً لمساهمتهم فى الحربين العالميتين الأولى والثانية بنصيب وفير دفاعاً عن حريات الغرب ، وماراوه من أن ضريبة الدم التى دفعوها قوبلت من مجتمع البيض الأمريكى بجحود ، ومما زاد فى سخطهم ماراوه فى فرنسا وغيرها من دول الغرب فى أوروبا ، ماعدا دول المحور وقد هزمت بسبب صلفها ، من أن التفرقة العنصرية ليس لها أثر يذكر .

واقترح المؤتمر الشيوعى العالمى السادس فيما بين الحربين العالميتين سنة ١٩٢٨ دفاعا عن قضية الملونين ولكسب جماعاتهم إلى صف العقيدة الشيوعية ، تخصيص ولايات مستقلة للسود فى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية ، غير أن الفكرة لم تصادف آذاناً صاغية من السود أنفسهم فهم لايريدون عزلة أو تمزيقا لأرض الوطن ، بل ينشدون مساواة وتعاوناً فى أحضان شعب واحد متماسك الكيان ، ولا يترك الاتحاد السوفييتى وسائر دول الكتلة الشرقية والدول المستقلة حديثاً فرصة دون الاحتجاج بشدة فى أروقة الأمم المتحدة على سياسة التفرقة العنصرية المرذولة ، وتنضم الدول الغربية الكبرى

فى الاحتجاج غير أنها فى احتجاجها لاتظهر حماساً وكثيراً ماتوازن بين مصالحها الدولية والاستعمارية وقضية التفرقة العنصرية المطروحة على بساط البحث وفى مقدمتها مشكلة التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب أفريقيا وفى فلول المستعمرات البرتغالية ، وقد ينتهى الأمر بامتناعها عن التصويت لاتخاذ إجراء حاسم ضد التفرقة العنصرية فى مجلس الأمن .

وهكذا نرى أن مشكلة التفرقة العنصرية خطيرة وشائكة فى صميم موطن الحريات بالعالم الجديد والمجتمع الأنجلوسكسونى البوريتانى الأبيض الذى ذاق ألوان الاضطهاد الدينى فى القارة الأوروبية ولجأ إلى عالم جديد ليشيد صرح حريات عريضة لاتشوبها الأحقاد والأطماع ، ومشكلة العنصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية تتناول مصائر أكثر من عشرين مليون أسود وملون ولما أثرها الكبير فى مدى تطبيق المبادىء الإنسانية الحرة واحترام المواثيق الدولية ومنظمات السلام ولما خطرها فى تهديد المجتمع البشرى بالانقسام والصدام المسلح بين جماعات تنشب بينها الكراهية لمجرد اعتبارات مصدرها الأوهام والعادات البالية . ويقوم صراع بين مبادىء الحريات وبقايا روح التعصب يباشره الأفراد والجماعات من البيض

والجمعيات السرية وأخطرها جمعية كوكلوكس كلان ، وفيما يلى شرح الأعمال الرهيبة العنيفة لهذه الجمعية مدعمة ببعض الإحصاءات التى تدل على أهمية السود فى المجتمع الأمريكى وعلى ما ترتكبه الجمعية من جرائم ضدهم ، كما نبين فى فصل آخر موقف المسلمين الملونين فى المجتمع الأمريكى .



جمعية كوكلوكس كلان Kuklux Klan

الإرهابية وموقفها من الملونين

لم تنه حرب الانفصال الامريكية مشكلة تحرير السود ومساواتهم بالبيض فى الجمهورية الحرة الكبرى بين شعب غالبيته من البيض ويحكم على أقدم دستور حر مكتوب معمول به ومتخم بالمبادىء الإنسانية الخلابة ، وظل الصراع محتدما بين البيض والملونين ، وأصيبت المبادىء البراقة لحقوق الإنسان بضربات قاصمة عقب انتهاء حرب الانفصال الامريكية بقتل الرئيس لنكولن زعيم فكرة تحرير العبيد فى الولايات المتحدة الأمريكية بيد بوت Booth أحد المتعصبين للتفرقة العنصرية فى ١٤ أبريل سنة ١٨٦٥ ، وما لبث البيض أن نكثوا بالعهود والمواثيق ونكصوا على الأعقاب ولم يحترموا ما قطعوه على أنفسهم فى مراعاة المساواة والعدالة بين المواطنين بلا تمييز بسبب الجنس ، ورأينا مثلا فى الجنوب سنة ١٩٥٦ حيث يكثر السود ويكونون فى بعض المناطق غالبية على البيض فى

المسيسبي وعددهم نحو نصف مليون لم ينجح فى قيد أنفسهم فى كشوف الانتخاب إلا ٢٠٫٠٠٠ ناخب من السود وفى الاباما. وعدد السود يتجاوز نصف مليون ناخب لم ينجح فى القيد أكثر من ١٠٪ ، وهناك مقاطعات لم يجسر فيها أى ملون أن يقيد اسمه فى كشوف الانتخاب ، وفى مقاطعة جفرسون الصناعية حيث أفران ومصانع الصلب فى برمنجهام وحيث النقابات العمالية قوية وذات سلطان لم يستطع أن يقيد من السود فى جداول الانتخابات إلا سبعة آلاف مع العلم أن مجموع الناخبين بينهم يبلغ ١٢١٫٥١٠ وفى مقاطعة اللويزيانا بلغ عدد المقيدين من السود ١٦١٫٤١٠ من مجموعهم البالغ ٥١٠٫٠٩٠ ، كما أن هناك أربع مقاطعات لم يقيد فيها ناخب أسود واحد ، وفى جورجيا لم يستطع أن يقيد من عدد مجموعه ٦٣٣٫٣٩٠ من السود إلا ١٦٣٫٣٨٠ ، ولم يجرؤ السود على قيد أنفسهم فى مقاطعات زراعية عديدة ، واتبعت حيالهم وسائل الارهاب والعنف للحيلولة دون مباشرتهم حقوقهم السياسية ، ونشأت للقيام بأعمال الارهاب والعنف والتعذيب والتقتيل والإحراق والتمثيل بالجثث جمعيات سرية عديدة أهمها جمعية الكوكلوكس كلان Ku - Klux Klan .

وهى جمعية سياسية سرية تاسست فى الجنوب ونمت

وترعرعت بعد الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، وانتهى بها الأمر إلى الاتجاه نحو إرهاب السود فى أنحاء الجمهورية الكبرى ، ولم يعرف بالتحديد مصدر الاسم المذكور ، وقيل إنه مستمد من الأصوات التى تحدثها قرقعة البندقة القديمة أو قراع الأسلحة ، وفى زعم آخر أنه تحريف كلمتى السنور والدورة فى اللاتينيــة Lux (limiére) et Kuk lus (Cy cle) واضيفت إليهما كلمة كلان Klan أى جماعة clan or gronpe ، وقد حلت هذه الجمعية محل جمعيات سرية إرهابية ذات طقوس ورموز قريبة إلى الطقوس والرموز الزنجية لمكافحة كل ما ليس بروتستنتى وأبيض أو لصب جام غضبها وانتقامها على طائفتى الكاثوليك والسود ومن يؤيدهما أو من لا ينتمى للمجتمع البروتستنتى والبوريتانى الذى بنى الجمهورية فى اعتقادهــا ، وبالأخص للوقوف فى وجه هجرة الكاثوليك المستمرة إلى القارة الجديدة ، وكان تعداد الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٣٠ نحو ١٣ مليون نسمة ولم يك بين هذا العدد من الأجانب إلا نحو ٤٠٠٫٠٠٠ ولكن بين سنة ١٨٣٠ و ١٨٤٠ قدم إلى القارة الجديدة أكثر من ٢٫٥ مليون نسمة وعدد وفير منهم من الايرلانديين وهم كاثوليك ، ورأت الجمعيات السرية أن هذه

الأعداد الكبيرة التى دخلت المجتمع الأمريكى الأصيل تشكل خطراً عليه بمدارسها ولغاتها وطباعها وعقيدتها وكنائسها .

وتكون الاتحاد البروتستنتى الأمريكى الذى انبثق منه فيما بعد الحزب الجمهورى سنة ١٨٤٣ وكانت أولى مبادئه أن فلسفة البابا تتعارض مع النظام الجمهورى للحكومة ، وارتفع رقم الكنائس الكاثوليكية فى الجمهورية الكبرى التى كانت ٢٣٠ كنيسة سنة ١٨٣٠ إلى ١٧١٢ كنيسة سنة ١٨٥٤ فالى ١٢,٠٠٠ كنيسة سنة ١٨٩٠ ، مما حدا إلى قيام جمعية أخرى سرية باسم «الجمعية التى لا تنتمى إلى أى حزب سياسى» Know Nophing Party ، وهى النواة الأولى لجمعية كوكلوكس كلان ، ثم حلت الأخيرة محل الأولى ، وأدى تدفق الملايين من الكاثوليك من ألمان ونمساويين وإيطاليين إلى قيام حركة ضد الكاثوليك فنشأت جمعية أخرى باسم « جمعية حماية أمريكا » American Prutectine Anosiation ، وصار شعار الصحافة والرأى العام لمحاربة أمواج الهجرة عبارة مشهورة وهى « استيقظوا أيها الأمريكيون فإن حريات ونظم بلادكم فى خطر » ، وقامت حملة فى الريف تنادى بوجوب الكفاح ضد الكثلكة والبابا ، وقد اتهمته بانه يطالب بإحراق منازل ومزارع غير الكاثوليك ،

وتحالفت جمعية حماية أمريكا مع الحزب الجمهورى ، إلا أنها سرعان ما اختفت إذ اتضح كذب ادعائها فلم تحرق مزارع ومنازل .

وأعقب انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦٥ — وقد تهيأ الجو لأعمال العنف من وراء الستار وللحركات الارهابية بعد أن انتهت المعارك الطاحنة المكشوفة — قيام جمعية كوكلوكس كلان — وهى ترث عقلية الجمعيات السابقة عليها ، وتحرر السود وحصلوا على حق التصويت واشتدت الضائقة الاقتصادية بسبب هذه الثورة الاجتماعية ، وارتعدت فرائص البيض فى ولايات الجنوب ، والسود هناك يكونون فى العديد من المقاطعات عصبة وغالبية قوية ، خشية أن ينتخب مرشحوهم ، وكان لهذا رد فعل قوى واستخدم العنف وسبق أن كان ضد الكاثوليك والايرلانديين للحيلولة دون مباشرة السود حقوقهم السياسية ، وتأسست لهذه الغاية جمعية من شباب ضباط الجنوب فى مدينة من أعمال ولاية التينسى Lennessee باسم حرمة السكن وحماية الخلق واحترام الدين ، وهدفها الخفى التنكيل بالسود ، واتخذت الوسائل العنيفة السرية المصحوبة بالطقوس الشبيهة بالطقوس الزنجية والمدموغة بالرموز السحرية لتزيد فى ألقاء الرعب فى الزنوج ، وقسم العضو الذى يلتحق بها

ألا يبوح بأى سر أو بيان عن الجمعية ، وعقاب المخالف الفتك به فضلا عن رسم سياسة الجمعية على أساس جهل الأعضاء الملثمين فى اجتماعاتهم بأسماء زملائهم .

وتأثرت الجمعية بظروف أحد بناتها ومجددى نشاطها سنة ١٩١٥ وليم جوزيف سيمونز William Joseph Simmons من الأتلانتا من أعمال جورجيا ، وكان بدوره متأثراً بطباع مربيته الزنجية التى زودته فى طفولته بالقصص المرعبة ، وكان يتخيل أشباحا من الفرسان يمتطون صهوات الجياد فى ثياب بيضاء فضفاضة ويكرون سراعا أمامه ، وهكذا ركع على ركبتيه وأقسم أن يدعم الجمعية على هذا الوجه ، ولم يعد يذكر مما قصته عليه مربيته إلا الهجمات الليلية للفرسان ، وتحقق هذا الحلم فى مطلع القرن الحالى ، كما أضيء صليب ضخم على قمم التلال القريبة من إتلانتا يحيط به شباب ملثم يرتدى الملابس البيضاء الفضفاضة واشتد ساعد الجمعية وألقت الرعب فى نفوس خصومها وخاصة فى ولايات جورجيا وجنوب كارولينا وكاليفورنيا وأريجون وتكساس وأوكلاهوما وأركانساس وأوهيو وأنديانا .

واتبع أعضاء الجمعية الذين أخذ عددهم يزيد باطراد شتى الوسائل غير المشروعة لتنفيذ سياستهم العنصرية ضد البشرة

السمراء ، فمن خطابات التهديد إلى الساسة البيض الذين يؤيدون المساواة التامة بين الناس بلا تمييز بين البيض والسود وإلى السود الذين يحاولون أن يطالبوا بحقوقهم السياسية وأن يرفعوا رءوسهم كما يقع اختيار أعضاء الجمعية على بعض السود الذين يشتمون منهم كفاحاً فى سبيل القضاء على التفرقة العنصرية للتضحية بهم إلى حد إزهاق أرواحهم زعما منهم أنهم يعتدون على نقاء الجنس الأبيض والمجتمع الأمريكى الصادق ، ويبرزون تهديداتهم فى هياكل وجماجم بشرية وصور بشعة مما يزعج السود الذين اشتهر عنهم التطاير والاعتقاد فى السحر والشياطين ، ويتركون فى حالة ارتكاب الجرائم ضدهم توقيعات باسم الجمعية ، وأزعجت أعمال الجمعية الحكومة الاتحادية التى سرعان ما أصدرت تشريعا ضدها سنة ١٨٧١ ، غير أنه لم يصادف تطبيقاً صادقا ، وقام صراع شديد بين الجمعية والسود ، ثم اشتد ساعد السود نتيجة اشتراكهم فى الحرب العالمية الأولى وما سمعوه من وعود الديموقراطية بتحقيق المساواة التامة بين الأجناس وما شاهدوه من ضعف التفرقة العنصرية إلى حد انعدامها فى فرنسا التى حارب فيها الأمريكيون الألمان ، وادعى أعضاء الجمعية أن النساء البيض مهددات من السود ، وشنوا حربا شعواء على جماعاتهم للتشكيل

بهم بحجة اتصالهم ببنات الجنس الأبيض ، واشتد نداء أن أمريكا للامريكيين دون السود .

وسارعت الجمعية بتدعيم مركزها فى الجمهورية الكبرى وهى خبير من يعلم أن الحملة ضد السود مصيرها النجاح فى الجنوب دون الشمال باتباع وسائل معينة فى الشمال تأييدا لنفوذها كالدعوة ضد الكثلكة والملونين عموما ، أى العناصر السامية والاشتراكية والشيوعية ، ودخل الجمعية عضوان لتدعيمها وهما : إدوارد يونج كلارك والسيدة اليزابث تيلر ، وسرعان ما نظمت الجمعية حملة من ثلاثين ألف عضو فارس على لابسهم للاستعراض فى واشنطون ، وأعلنت الجمعية عزمها على نشر مبادئها فى انجلترا وفرنسا وإيطاليا ، وعينت مندوبين لجمع الاعانات وأباحت لهم أن يقتطعوا منها عشرها أتعابا لهم من جهودهم ، وتدفقت الأموال على الجمعية وارتفع عدد الأعضاء من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٧ وكان ما بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ عضو إلى أكثر من مليون عضو ، ثم أعلنت الجمعية عن وصول الرقم إلى ستة ملايين فيما بعد ، وظهرت موارد كسب جديدة للجمعية نتيجة بيعها ملابس الفرسان للأعضاء ومنحها تصاريح إنشاء مراكز ومقرات للفروع الاقليمية ، وتدخلت الجمعية باعداد الأعضاء وقوة الدعوة وأعمال العنف فى تأييد

المرشحين للرئاسة الذين يميلون إليها ، وقد عملت على انتخاب الرئيس هوفر وأسقطت منافسه الكاثوليكي سميث ، وزعمت أنها بهذا الإجراء أنقذت الجمهورية من نفوذ البابا ، كما أدى تدخل الجمعية لدى السلطات إلى إصدار تشريعات تحديد الهجرة إلى الجمهورية الكبرى ومنعها على الملونين والصفر وبعض الشعوب السامية وإلى إصدار قوانين تحريم الخمر.

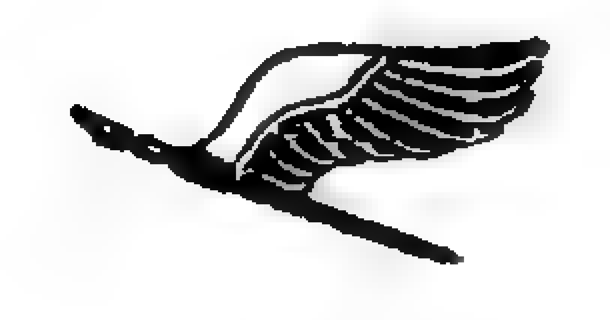
وتعددت اجتماعات أعضاء الجمعية ومظاهراتهم ، وكانوا يتعمدون إحداث الشغب وانتهاء الجمع بسقوط صرعى وجرحى، ويختفى الفاعل ولا يستدل عليه بأى حال من الأحوال ، واتبعت الجمعية حيال الذين ترميهم بالمروق عن مبادئها ومن تناصبهم العداء من الكاثوليك والملونين والسود علاوة على التهديد ، عقوبات على درجات من الضرب والجلد والتعذيب والتشويه إلى القتل بالشنق وتمزيق الجسد وإحراقه علاوة على إتلاف الممتلكات وإحراق الدور وإزهاق أرواح الأبناء وسائر أعضاء الأسرة ، وهذه العقوبات الوحشية تطبق على الرجال والنساء على السواء دون تمييز وفى كل سن وتقف السلطات مكتوفة اليدين تجاه هذه الأعمال الهمجية ، وبلغ مجموع هذه الحوادث فى مقاطعة تكساس وحدها سنة ١٩٢٢ نحو ٥٠٠ وفى مقاطعة اكلاهوما

سنة ١٩٢٣ نحو ٢٣٠٠ حادثة ، ولا تحكم هذه الحوادث إلا الأغراض والظلم ولا تتبع فى المحاكمات العدالة مما أثار الرأى العام ، ولكن تعذر حصر المسئولية ، وأرادت العدالة فى الويزيانا أن تقوم بتحقيق دقيق فى مقتل مزارع وعامل عذبا قبل ازهاق روحيهما ، غير أن السلطات اصطدمت بالأهلين المالئين للجمعية وتملص الشهود عزوفا عن الادلاء باقوالهم ، وكثيرا ما كان حكام المقاطعات يصدرون الأمر باعلان الأحكام العرفية لمجابهة الاضطرابات التى تحدثها الجمعية .

وتعددت حوادث قتل الرجال السود بحجة اعتدائهم على فتيات من البيض والفتك بهن وتعدد الانتقام المروع من الفتيات البيض بحجة اتصالهن بالسود استنادا إلى قوانين تحريم الزواج المختلط ، ونشرت على صفحات الجرائد والمجلات تصرفات الجمعيـة القائمة على الوحشية مصحوبة بصور مع وصف للتنكيل بالضحايا ، وأثار هذا سخط الرأى العام على الجمعية .

وبدأت جمعية كوكلوكس كلان تفقد الكثير من نفوذها بعد سنة ١٩٢٥ عقب صدور قوانين تحديد الهجرة سنة ١٩٢٤ ، مما أضعف أسباب قيامها وقد زال الخطر الأجنبى الذى تخيله بعض المواطنين المتعصبين فى نظرهم على المجتمع الأمريكى ، كما

بدأ الكاثوليك والبروتستنت وقد أخذت ، تتلاشى شيئاً فشيئاً أحقادهم ، يحسون بخطورة تدخل الجمعية فى شؤونهم لإيقاد الفتنة ، كما كان لسياسة العزلة أثر فى إضعاف فكرة العنصرية والوقوف فى وجه السامية تبعاً لحاجة الشعب إلى التكاتف والتعاون تنفيذاً لهذه السياسة ، واشتدت كراهية المجتمع الأمريكى للجمعية لما شاهده من الاضطهاد العنصرى فى ألمانيا النازية ابتداء من سنة ١٩٣٤ ، ثم زاد فى وهن الجمعية التنافس على السلطة بين رؤساء فرسانها ، إلا أنها بدأت نشاطها مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانية ، ووجدت مرتعاً خصيباً لهذا النشاط فى تذرعها بمكافحة الشيوعية والعناصر الدخيلة على المجتمع الأمريكى والحد من مطالب السود فى المساواة والعدالة بحكم الدستور الاتحادى ، وبدأت من جديد أعمال العنف والجلد والتعذيب والتقتيل والشنق والحريق .



بعض إحصاءات هامة عن السود

فى الولايات المتحدة الأمريكية

العـــدد	السنة	النسبة المئوية لمجموع السكان
٥٠ر٠٠٠	١٧١٣	
٥١١ر٠٠٠	١٧٨٠	
٧٥٧ر٢٠٨	١٧٩٠	١٩ر٢٧ ٪
٤ر٤٤١ر٨٣٠	١٨٦٠	١٤ر١٣ ٪
١٢ر٨٦٨ر٥١٨	١٩٤٠	٩ر٨٠ ٪
١٤ر٨٩٤ر٠٠٠	١٩٥٠	٩ر٨٠ ٪

وبلغ مجموع عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية حسب إحصاء المكتب الرسمى للإحصاء فى الجمهورية الكبرى بتاريخ أول يوليه سنة ١٩٥٦ نحو ١٦٥ر٢٤٨ر٠٠٠ نسمة ومجموع الملونين ١٨ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة من السود والهنود الحمر والصينيين واليابانيين وأهالى بورتوريكو المكسيك وأهالى الفلبين ونسبة السود فيهم نحو ٩٦ ٪.

سكان المدن الكبرى من البيض والملونين

حسب تعداد سنة ١٩٥٠

المدينة	السكان البيض	السكان من الملونين
نيويورك	٧ر١١٦ر٤٢٨	٧٧٥ر٥٢٩
شيكاجو	٣ر١١١ر٥٢٥	٥٠٩ر٤٢٧
ديترويت	١ر٥٤٥ر٨٤٧	٣٠٣ر٧٢١
فيلادلفيا	١ر٦٩٢ر٦٣٧	٣٧٨ر٩٦٨
لوس أنجلوس	١ر٧٥٨ر٧٧٣	٢١١ر٥٨٥
سان لويس	٧٠٢ر٣٤٨	١٥٤ر٤٤٨
واشنطن	٥١٨ر١٤٧	٢٨٤ر٠٣١
بلتيمور	٧٢٣ر٦٥٥	٢٢٦ر٠٥٣

التقتيل عن طريق التمزيق إربا Eyrchage

السنة	الضحايا		
	البيض	السود	
١٨٨٥	١٠٦	٧٨	
١٨٩٠	٣٧	٩٠	
١٨٩١	٧١	١٢١	
١٨٩٢	١٠٠	١٥٥	
١٨٩٣	٤٦	١٥٤	
١٩٠٠	٨	١٠٧	
١٩٠١	٢٨	١٠٧	
١٩٠٤	٤	٨٣	
١٩٠٨	٧	٩٣	
١٩١٠	٤	٦٠	
١٩١٤	١٣	٥٤	
١٩٢٠	٦	٥٨	
١٩٢١	٥	٥٦	
١٩٢٢	—	٥١	
١٩٢٤	٩	١٦	
١٩٢٥	—	١٧	
١٩٢٦	—	٢٣	يلاحظ قصر التقتيل
١٩٣٠	—	٢٠	عن السود منذ سنة
١٩٣٣	—	١٤	١٩٢٥ .
١٩٣٨	—	٦	
١٩٤٦	—	٦	
١٩٥٥	—	٣	

ونذكر أخيراً الإحصاءات الآتية حسب تعداد
سنة ١٩٦٠ فى الولايات المتحدة الأمريكية
عن مجموع السكان من البيض والملونين

بلغ مجموع عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٦٠ نحو ١٨٠ مليون نسمة ويقدر ارتفاع الرقم لسنة ١٩٦٢ إلى نحو ١٨٧ مليون نسمة .

ومنذ قرن كان نحو ٩٢ ٪ من السود يقطنون الجنوب أما اليوم فنحو ٦٠ ٪ منهم فقط يقطنون المنطقة المذكورة ويبلغ عدد الذين يهاجرون منهم إلى الشمال نحو ١٢ ألف أسود شهريا باستمرار وذلك حسب البيانات التى أمكن الحصول عليها سنة ١٩٥٠ ولا يزال الوضع مستمراً على هذه الحال .

ويبلغ عدد الملونين هناك حسب تعداد سنة ١٩٦٠ نحو ٢٠ر٤٩١ر٤٤٢ نسمة وهم موزعون كالآتى :

ســـود	هنود حمر	يابانيون	صينيون
١٨,٨٧١,٨٣١	٣٥٧,٤٤٩	٣٢٦,٣٧٩	١٥٠,٠٠٥

ثم يبلغ مجموع الملونين من أهل الفلبين وبوتريكو إلخ حسب التعداد السالف ذكره ٢١٨ر١٠٧ .

بيــان بعدد العبيد من الزنوج المستحضرين من أفريقيـا إلى الولايات المتحدة وعدد المحررين منهم :

من سنة ١٦١٩ إلى سنة ١٨٠٨ بلغ عددهم نحو ٥٠٠ر٣٣٣

وبلغ عدد من حرر منهم سنة ١٧٩٠ نحو ٤٦٦ر٥٩

وسنة ١٨٦٠ نحو ٠٧٠ر٤٤٨

وسنة ١٨٧٠ نحو ٠٠٩ر٨٨٠ر٤



مسلمو الولايات المتحدة الأمريكية
من الملونين السود



ضمن المجتمع الأسود فى الولايات المتحدة الأمريكية الذى يجاوز عشرين مليونا نحو مائة ألف يدعون بانتمائهم إلى الإسلام وأنهم يؤمنون بالله وبرسوله ، ويتبعون زعيما أسود يوجههم ويحاول تطهير نفوسهم وإرشادهم إلى فعل الخير وحضهم على البعد عن المنكر والشر يدعى اليجاه محمد Elijah Muhammad ويطلق عليه تجاوزاً الحاج محمد ويلوح أن جلهم من القديانيين ، وقد نصحهم بالبعد عن الاحتشاد والمظاهرات والسير نحو واشنطن فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٦٣ إحتجاجا على سوء معاملة المجتمع الأبيض وللمطالبة بحقوقهم كاملة فى المساواة ، وهو يرى أن تقارب المجتمعين من البيض والسود يتم تدريجياً وباندماج يقوم على التعاطف والتحاب وتناسى أحقاد وآلام الماضى ، غير أنه ينصح مريديه بالتدرب على مواجهة عنف البوليس وعداوة البيض دفاعاً عن أنفسهم بشتى الوسائل على أن تبدأ بالتفاهم وبالحسنى ، وهو يرى أن الحياة الصالحة للمسلمين السود تكون فى مجتمع مشرق صافى الأديم يطمئن الإنسان فيه على

نفسه وماله مجتمع منظم يتفهم معنى تبادل المعونة بين الناس ، وينادى مع مرؤوسيه فى المساجد التى تبلغ ٣٠ مسجداً فى مواعظه وخطبه ، إن على المسلم الأمريكى الأسود أن يستيقظ من سباته وأن يطهر بدنه ونفسه ويسمو بمداركه بواسطة المدارس الابتدائية وبالتردد على المساجد وبالاستماع إلى المحاضرات الأسبوعية ، وإن على المسلم أن يعلم المسلمة السوداء ما يلزم لرعاية منزلها كالحياكة والطهو وإعداد المائدة لأسرة من الطبقة المتوسطة وسائر ما تتطلبه الحضارة الحديثة ، وهو ينادى بالفصل بين الفتى والفتاة فى فصول المدارس وفى أداء العبادات ، وهناك جامعة إسلامية فى شيكاغو علاوة على مدرسة للأطفال ، كما تعطى منحا لأولاد المسلمين فى المدارس الثانوية .

وينادى رئيس هذه الجالية الحاج محمد بمنع تعاطى الخمر وتحريم ارتكاب المعاصى ومباشرة الرقص والغناء والموسيقى والزنا ، ويلاحظ أن الإسلام يحارب بشدة هذه الرذائل والموبقات ، وكل من يخالف هذا يطرد لخمس سنوات من الجماعة ، وهو ينصح أيضاً بعدم التدخين ، ويضرب واعظوهم على نغمات خلاصتها أن الرجل الأبيض لا يريد تقدما للمسلم الأسود أو أن يصبح مواطناً صالحاً ، كما يحرضه على ارتكاب

المصبيات وتعاطى الخمور ويدربه على استغلال الحقد . وفى نفس الوقت هو يكره شعره الأجعد وبشرته ، وهو يخشى مواجهة الحقيقة التى توهن قواه ، وعلى المسلم الأسود أن يواجهه بها ويقول رئيس هذه الجالية أيضا لتابعيه إن الشيطان هو الذى يحرمهم من حرياتهم وحقوقهم الإنسانية بما فى ذلك المساواة بين الناس والعدالة وسائر الحقوق المدنية ، والخلاصة يختلس حقوقهم كبشر ويحضهم على الدفاع عن مجتمعهم بالتنبه إلى هذا الشيطان بقوله ولسنا فى حاجة إلى التعرف على من هو هذا الشيطان ؟ ثم يقول بأن أمريكا تريد أن ينحنى العالم لسياستها غير أن غالبية سكان العالم هم السود ، وهم يحكمون على العالم من نظراتهم إلى حالة عشرين مليون نسمة من السود يعيشون فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ويعمل الحاج محمد جاهدا فى سبيل القضاء على الادران التى انتابت الإنسانية بسبب أعمال الرجل الأبيض ، وهو يطلب إلى الرجل الأبيض أن يساعده فى هذا الغرض النبيل ، كما ينصح بأن على الرجل الأبيض أن يخلع عنه رداء التعصب ، وفى هذه الحالة لن يرمى الحاج محمد بأنه متعصب للعنصرية وبث الكراهية بين الناس ، ويقول أيضا : إن الرجل الأبيض هو الذى يجب أن ينعت بأنه

ملء الكراهية بين الناس لأنه هو الذى ابتدعها ، وهو عنصرى النزعة لأنه أخرج لنا سياسة التفرقة العنصرية الممقوتة .

ولم يسلم هؤلاء المسلمون السود من سخط البيض ومن رصاص البوليس ، وقد كان أول ضحية لرصاص البوليس فى لوس انجلوس عام سنة ١٩٦٣ هو ويليام روجرز الذى اعتبروه شهيدا للحركة. ويعتمد الحاج محمد هذا فى دعوته الواسعة لصالح السود وخاصة المسلمين على البساطة والسهولة حتى يمكنها أن تصادف هوى لدى الرأى العام وإقبالا من السود على تأييدها .

وبرنامجه فضلا عما ذكرناه من حضه على الخير ونصحه بالبعد عن المنكر يتلخص فى إنصاف فقراء السود والذين لم ينعموا براحة أو باى امتياز والذين ينشدون زعيما لتوجيههم ، وهو يعدهم بتحسين حالهم وتحقيق حرياتهم وولوجهم أبواب الجنة الموعودة ، وهم يعارضون زعيم الغالبية من السود الذين ينتمون للمسيحية ويتبعون مارتن لوثر كنج Martin Luther King ويؤيدون سياسته فى الدفاع السلبى والموقف غير العدوانى مع الإضراب والعصيان المدنى ، وهم يطالبون بدولة مستقلة منعزلة عن مجتمع البيض لتحقيق أهدافهم ويرون أن الرجل الأبيض يجب أن يصادف خطرا ليرد الحقوق إلى أربابها ، ويرى كتاب

هذا الاتجاه السياسى أن تصرفات السود لا يجب أن تقوم على التردد ، كما يجب أن يعد الأسود نفسه لـكى يقابل القوة بمثلها ، ويرون تحقيقا لأهدافهم فى التحرر أن تنشأ فى الولايات المتحدة الأمريكية دعوة واسعة النطاق لرد الحقوق من مغتصبيها إلى أربابها وأن تنشأ دولة مستقلة منعزلة عن مجتمع البيض تأوى السود .

وأخيراً يرى مفكروهم أنه لامفر من استعمال القوة والعنف للحصول على الحق ، ويؤكدون أن البيض يدفعون بالسود نحو هوة سحيقة بسياسة العزل مع قصر جهود التقدم على الرجل الأبيض ، وإن شخصية الأبيض والأسود تتطلب تحليلا دقيقاً مع إبراز مزاياهما ليمكن أن يفوت الباحث على متعصبى الغرب أغراضهم فى إلقائهما فى غياهب السجون نتيجة ارتكابهما أعمال العنف دون مبرر . وأن البيض يدفعون ـ فى رأى الزعيم محمد ـ بالسود نحو هوة سحيقة تجعل من الأسود شخصاً أقل من بقية أعضاء الأسرة خلقاً ومالا وحضارة وإنسانية ، ويحصرونهم فى أحياء معينة فى شيكاجو وغيرها إمعاناً فى إذلالهم ليجعلوا منهم مواطنين من الدرجة الثانية ، وهكذا يحرضونهم على ارتكاب الأخطاء والمعاصى والجرائم .

ويقول رئيسهم أيضاً : إن البيض من المسئولين لاينفذون قرار المحكمة العليا والمحاكم احتراما للعدالة والديموقراطية مادامت لصالح السود ، وقد رأينا إلى أى حد أن القرار التاريخى لصالح الرجل الأسود الذى صدر من المحكمة العليا سنة ١٩٥٤ صادف عقبات وصعاب فى التنفيذ ، ويقول رؤساء المجتمع الأسود المسلم إن تمسك مارتن لوثر كنج بفكرة الدفاع السلبى على طريقة غاندى لاتصلح لأمريكا وإن كانت نجحت فى الهند نجاحاً بالغاً ، فكان غاندى بفلسفته كالفيل الأسود الضخم الجاثم على أنفاس فأرة ، أما اتباع الدفاع السلبى فى المجتمع الأمريكى الأسود فإنه يصبح كفأرة صغيرة سوداء تحاول أن تجثم على أنفاس فيل ضخم أبيض .

ومشكلة السود من مسلمين وغيرهم فى الولايات المتحدة الأمريكية ليست بالمشكلة الهينة ويكفى لبيان صعوبتها ذكر تعصب البيض ضد السود ومايتبعونه من وسائل الازدراء وسوء المعاملة واغتصاب الحقوق والتعذيب وإرهاق الأرواح ، وقد ضربوا بالدستور الإتحادى وبالقوانين وحقوق الإنسان عرض الحائط . غير أن هذه الأعمال التى تعد وصمة فى جبين الإنسانية لن تجد علاجا حاسماً بين يوم وليلة وخاصة أن مجتمع

البيض يزعم أن القضية من صميم المسائل الداخلية للجمهورية الكبرى . ويتعين تكاتف الرأى العام العالمى والمنظمات الدولية والجمعيات الدولية والإنسانية على اختلافها ، فى سبيل الدفاع عن حقوق السود ودفع الحيف عنهم والمضى قدما فى كسبهم - عملا - المساواة القانونية كاملة .



العنصرية قوميا ودوليا

إن لمشكلة التفرقة العنصرية أصداء بعيدة فى الميدانين القومى والدولى ، ويتعين ، حتى تصبح دراساتنا وافية بالغرض، أن نعرض لهاتين الناحيتين و نبين مختلف وجهات النظر فى العنصرية من ناحية الكيان السياسى القومى ، ثم نشرح وضعها فى المحيط الدولى وكيف تناولتها المواثيق فى تقرير المساواة بين الناس بلا تمييز بين لون بشرة وآخر وجنس وآخر بل وعقيدة وأخرى وفيما يلى البيان :

العنصرية والكيان السياسى القومى :

يشكل الناس مجتمعات إنسانية سياسية تتكون فى إطاراتها المختلفة شعوب متباينة الأمزجة والطبائع لها تاريخها وحضاراتها وذكرياتها وآمالها التى يتغنى بها أبناء الوطن الواحد ، ويبذلون النفس والنفيس فى تحقيق ما يحفظ هذا الكيان ، ورأينا هذا فى كفاح الشعب البولندى لاسترداد استقلاله بعد تمزيق أوصال الوطن باتفاقات فينا لسنة ١٨١٤ — ١٨١٥ ، وقد هدمت نواة الدولة التى حاول نابليون بونابرت بتأثير ماريا فالفسكا الحسناء البولونية

النبيلة أن يقيمها باسم دوقية فارسوفيا ، واستمر اصطدام الأمانى الوطنية البولونية بجبروت القيصرية الروسية حتى الحرب العالمية الأولى وقيام روسيا السوفيتية ونشوب الحرب بين بولندة وروسيا الشيوعية وتاييد الحلفاء والغرب لاستقلال بولندة ، وقامت دولة بولندة الحديثة . ورأينا الحنين إلى الوطن يتمثل فى تضحيات الذين ذهبوا فى سبيل تحقيق الاستقلال وفى أناشيد الشعب البولندى وموسيقاه بما فى ذلك حنين موسيقى شوبان Chopin إلى وطنه فى مقطوعاته المتنوعة وعلى رأسها « البولونيز » .

كما رأينا الكفاح فى بناء وطن واحد يتمثل فى تحقيق الوحدة الايطالية فى منتصف القرن الماضى والوحدة الألمانية فى النصف الأخير من القرن الماضى ، والأولى على أثر الحرب بين فرنسا ومملكة بيومونت جبهة واحدة ضد إمبراطورية النمسا والمجر التى كانت تحتل الامارات الايطالية عن طريق الاستفتاء والثانية بالحرب السبعينية بين بروسيا وفرنسا بالحديد والدم Par le fer et le sang ، وكذلك فى جهاد شعوب شرق أوروبا فى سبيل التخلص من نير الحكم العثمانى ومن حكم آل هسبورج

الرجعى الجامد بتكوين دول مستقلة على أساس حضاراتها وروحها وتاريخها وطبائعها ولغاتها .

وهكذا نرى الدولة تتكون من الجماعة الانسانية التى يضمها إطار فى أحضان نظام سياسى يحكم هذه الجماعة وينظم شئونها ويوزع الاختصاصات بين أعضاء الجماعة ويبرز شخصية هذه الجماعة بالحفاظ على ثقافتها ومدنيتها والدفاع عنها ضد الاعتداء الخارجى مع السير بها قدما فى سبيل بناء الحضارة والعمران . ويمكن التساؤل عما يكون كتلة أو إطار الجماعة الانسانية أو الشعب مما يمهد لتكوين الدولة ، هل صلة الدم والجنس هى التى تكون الجماعة .؟ كما فى زعم بعض الكتاب وعلى رأسهم جوبينو ، وقد راجت أفكاره خارج بلاده وخاصة فى ألمانيا ، أو هى مجموعة عوامل مختلفة وفى مقدمتها عوامل روحية ومصالح مشتركة تدفع إلى بناء صرح الشعب وتكوين الدولة كما فى وصف العلامة ديجى Duguit .

وزعمت المدرسة الجرمانية ـ واتخذت العنصرية أساس فلسفتها فى تكوين الشعب والدولة وسارت على دربها السياسة القيصرية ثم النازية والفاشية ـ أن العنصر الآرى يتميز عن غيره من الأجناس وهو فى قمتها وينحدر منه الجرمان ، وهكذا يصبح الجنس

الألمانى سيد الشعوب ورائد المدنيات ، وأن سائر الأجناس أقل مستوى وكفاية من العنصر الجرمانى الآرى النقى ، وقالت إنه يتعين المحافظة على مجد الدولة الألمانية بالإبقاء على نقاوة العرق ، وانتهى بها المطاف نتيجة طموح ألمانيا القيصرية ثم ألمانيا النازية فى بناء المانيا الكبرى وفرضها سلطانها على أوروبا وسائر المناطق الغنية بالمواد الأولية فى العالم إلى توتر العلاقات الدولية من أثر سياسة السير نحو الشرق Drang nach osten وهدم ألمانيا النازية استقلال النمسا وتشيكوسلوفاكيا وهنجاريا ، وسيطرتها على شرق أوروبا فاشتعال نيران الحربين العالميتين الأولى والثانية وما صحبهما من خرائب ودمار وموت بالملايين فهزيمة السياسة العنصرية الحمقاء بكبريائها وصلفها وضياع أحلام النازية وتسليمها للحلفاء بهدنة فرسايل فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ثم للدول المتحالفة بعد دك معالم برلين فى أبريل — مايو سنة ١٩٤٥ .

وزعمت المدرسة الفرنسية وعلى رأسها رنيان Renan أن الجماعة السياسية بروحها ومبادئها الفكرية ، وهذه الروح تتكون من الماضى والحاضر والأمل فى مستقبل أفضل يحقق سعادة أبناء الشعب الواحد ، ويعتبر الماضى تراثا وملكا للجماعة

بما خلفه من ذكريات ، والحاضر هو الرغبة في العيش الرضى معا وإرادة الاستمرار فى المحافظة على تراث الجماعة وحضارتها مما لا يقبل التجزئة ، وينبيء كفاح الماضى وجهاد الحاضر والأمل فى المستقبل عن تفان وتضحيات يساهم فيها الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد ، ونرى فى كنفها بطولة العظماء فى بناء الوطن وقوة الفكرة القومية للشعب ، وينبثق من هذه الجهود المتواصلة المجد والعزم المشترك بما صنعه أبناء الأمة من أشياء عظيمة دفاعا عن أرض الوطن وبما يعملون فى سبيل تحقيقه من رفع شأن الأمة ، وقد تصادفهم الصعاب والمتاعب والآلام ، كما يجنون ثمار الانتصار وهم بين صعود وهبوط وهزائم وانتصارات ، وهذه الجماعة السياسية هى بروحها وذاتيتها ومشاعرها التى تربط أبناء الوطن الواحد بعضهم ببعض بحكم ماضيهم وحاضرهم وآلامهم وآمالهم ، لا بدمها وتباهيها بالدم والعرق والتفرقة العنصرية وشرورها .

وهكذا نرى الشعب وقد استقر فى أرض محددة على وجه الدقة لها تخومها يخطو ، خطوات حاسمة فى تكوين الدولة التى تتميز بروحها الواحدة التى تقوم على الماضى والحاضر والعزيمة المشتركة فى البقاء فى وحدة لها تقاليدها وطبائعها ومشاعرها

وأحاسيسها وما توارثه الناس من أفكار وتماطوه من غذاء روحى ، وأصبحوا على أساس هذه العوامل يدركون قوة حضارتهم ووحدتهم بسجيتهم وهى توجههم فى حياتهم السياسية إذ نحن نولد وعلى أكتافنا ميراث القرون . ولقد تحول الشعب العربى من مجرد جماعة إسلامية وأمة تلقت رسالة محمد إلى دولة مترامية الأطراف لما إطارها من المحيط إلى الخليج لا بحكم العرق بل بحكم الحضارة والمشاعر المشتركة والتطلع إلى وحدة المستقبل والمصير .

ولا تخضع الجماعة السياسية فى تكوينها إلى الجنس والعرق ، وقد يضم العرق العديد من أبنائها إلى أعطاف الوطن ، ولكن ليس العنصر فى اعتبارنا أساساً فى تكوين الدولة وبنائها ، ولقد اتخذ العنصر ذريعة فى تكوين دول تعاهدية فاتحادية ، مثال ذلك تكوين الوحدة الألمانية ومطالبة المانيا النازية بالسوديت وجمهورية النمسا وغيرها ، إلا أن هذه الفكرة القبلية التى كانت تبرز فى المجتمعات القديمة المحدودة العدد يوم كان أبناء القبيلة أو القبائل المتجاورة ينحدرون من آباء تجمعهم صلات القربى مثال ذلك عرب الجاهلية قبل الاسلام وارتباط أسبارطة وأثينا بفكرة الأسرة ، غير أن اتساع الامبراطورية الرومانية أزال

أهمية الاستناد إلى هذه الفكرة، كما أن المسيحية الأولى بنشرها المساواة بين الناس على أساس كسب القوت بعرق الجبين والتحاب بين البشر ، وأن يسود السلام الأرض ، أضاعت أهمية العامل القبلي . ثم جاء الاسلام ينشر روح المساواة والتسامح بين المسلمين والذميين وان تسود العدالة والحريات بأنواعها — وفى مقدمتها حرية العبادة والرأى والتنقل وتبادل المنافع — المجتمع السياسى فى دار الاسلام ، وذلك على أثر دخول الناس أفواجا من الوان ونحل مختلفة فى الاسلام و « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

وعامل الجنس الواحد لا يتسع لعالم اليوم وقد مرت البشرية فى حروب وشاهدت غزوات شاملة ، فمن اختلاط العالم القديم نتيجة قيام الامبراطورية الرومانية والسلام الرومانى فاتساع الإسلام بالغزو والتجارة من أدنى العالم إلى أقصاه فهجوم قبائل المغول من قلب آسيا على الاصقاع الغنية فى أوروبا واختلاط الشرق بالغرب فى الحروب الصليبية وما بعدها إلى الاستكشافات الجغرافية وولوج الغرب العالم الجديد وأحراش القارة المظلمة وبسط الرجل الأبيض سلطانه على قارات العالم ، كما تعددت الهجرة بالجملة ونشأت دول بفعلها مثال ذلك استراليا و نيوزيلانده

واتحاد جنوب أفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية وشتى جمهوريات أمريكا اللاتينية ، واختلطت الأجناس والأنساب ، ففرنسا وايطاليا مثلا خليط من الجرمان والسلت والفندال والعرب والمغول والبيض والسمر ، والمانيا خليط من المغول والتتار والسلت والصقالبة والآريين ، وانكلترا خليط من أبناء قبائل أوروبا الذين غزوها منذ روما القديمة بواسطة يوليوس قيصر ، والعرب خليط من السمر والمغول والتتار والصقالبة والسود وأهل البادية وقلب نجد وقريش وأهالى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وشعب الولايات المتحدة الأمريكية خليط من الأنجلو سكسون والجرمان واللاتين والعرب والهنود الحمر والصفر والزنوج ، ولا يمكن ادعاء نقاء العنصر فى دولة أو محاولة نسبتها الى الجنس الأبيض فيها وإقامتها على أساس هذا الجنس مع تجاهل أسباب الاختلاط وسائر الأجناس التى تقيم دعائم الدولة .

ويصعب الارتكاز على فكرة الدين كما يشاهد فى التعصب الصهيونى كعامل فى قيام الدولة ، وبذا يمكن ابراز عنصر متميز على أساس اعتناق الشعب لدين معين ، فلم يعد الدين هو المميز لدولة عن أخرى ، وإذا نصت بعض الدساتير على دين الدولة

أو على رئاسة الملك لكنيسة أو انه يمثل عبادة معينة كما نرى في بعض دساتير البلدان الإسلامية من أن الاسلام دين الدولة ، وفى تلقيب ملك الانكليز بأنه حامى العقيدة والدين ، فهذا مجرد رمز ولكنه ليس الاساس فى قيام الدولةوهو من تقاليد الماضى وطبائع الشعب .

وربما كانت اللغة عاملا هاما فى قيام الدولة وفى وحدة الشعب وهى القوة الكهربية فى تبادل الآراء وفى الاتصال الفكرى بين الناس الذى بتوجيه يمكن تعاون الناس بعضهم مع بعض وتوزيع الاعمال والاختصاصات بينهم ومباشرة كل عمله وبناء صرح الدولة وحضارتها وتوجيه الثقافة والإنتاج وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وإذا تعذر تفاهم المواطنين صعبت المحافظة على وحدتهم وتعاونهم فى الاضطلاع بأعباء المدنية والأمثلة على ذلك عديدة فاللغة الانجليزية هى التى تجمع شمل أهالى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى التى ساعدت فى تكوين الهند المستقلة سنة ١٩٤٧ وفى المحافظة على وحدتها ، وما كان يمكن قيام وحدة الهند على أساس مئات اللغات واللهجات التى تحكم شعبا يزيد على ٤٥٠ مليون نسمة ، ولغة الضاد حفظت الكتاب الكريم وهى الأداة الفعالة فى تحقيق اتحاد العرب

فوحدتهم ، ولكن لا يمنع هذا من انتشار لغة واحدة بين دول متعددة كتحدث شعوب جمهوريات أمريكا اللاتينية الأسبانية والبرتغالية مع تعددها وكتكلم الفرنسية فى دول عدة أيضا هى فرنسا وبلجيكا وسويسرة ، وكتكلم الانجليزية فى المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية واستراليا ونيوزيلاندة وكندا ، كما قد يتكلم أبناء دولة واحدة عدة لغات حسب التوزيع الاقليمى كما فى سويسرة : فالغرب يتكلم الفرنسية والشمال والشرق الألمانية والجنوب الإيطالية ، وتجمعهم المصالح المشتركة واتحاد الآمال والأهداف والرضا بالعيش فى كنف نظام يطمئنون اليه ويستطيعون فى إطاره بناء حضارتهم بلا اعتبار للعرق أو اللون أو الدين .

٢ — العنصرية فى المحيط الدولى : هل العنصرية مجرد مشكلة قومية أم هى مشكلة أوسع نطاقاً وتتعدى النطاق القومى إلى النطاق الدولى وتمس صميم البشرية ويتعين بحثها على أساس عام دون اعتبار للحدود ؟ . وكما رأينا فالعنصرية ليست الأساس فى بناء الكيان السياسى القومى للشعب والدولة ، وقد تشاهد عرضاً أو تتقابل كما يتقابل النهر مع الجداول التى تصب فيه فى المحيط القومى ولكنها لاتبنى أساساً الدولة ، ولا يمكن التسليم

بما يزعمه البعض من أنها الأساس فيما يتميز به الشعب وما يتسم به من طبائع وحضارة .

والإنسانية وقوانينها ليست بمقصورة على أمة أو شعب أو جنس فهى للبشرية ، وقوة الدفع الزمنى للتطور العالمى تعمل على اتساع المجال لشتى الشعوب لتتم بدفئها ، وحاولت أخيراً الدول الاستعمارية والمستغلة والامبراطوريات الصناعية كانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والبرتغال والبرازيل أن تحصر مشكلة العنصرية فى المحيط القومى زعما بأنها فى صميم المسائل التى تمس سيادة الدولة ونظامها الداخلى وليس للدول الأخرى التدخل بخصوصها ، وامتنعت عن التصويت لصالح أزمة الملونين فى اتحاد جنوب إفريقيا وللاسراع فى فرض العقوبات الاقتصادية على الاتحاد حتى يرعوى ويضع حداً لاضطهاد الملونين فى البلاد ويوقف محاكمات زعمائهم بتهم باطلة على رأسها التخريب وتهديد أمن الدولة والاعتداء على سلامتها وتصل العقوبة إلى الإعدام ، وتمسكت الدول المتعصبة للتفرقة العنصرية بوجهة نظر بالية وهى أن الملونين كمواطنين فى الدولة يخضعون لنظمها وقوانينها ولاشأن لميثاق الأمم المتحدة أو الدول الأخرى بمصائرهم وأن حق سيادة الدولة على أراضيها ومواطنيها يمنع

الدول الأخرى من بحث شكاوى الملونين وما يقع عليهم من اضطهاد وظلم ، إلا أن حق السيادة هذا منوط بالخضوع لأبسط القواعد الإنسانية فى ضرورة المساواة بين البشرية ، فضلا عن أن المشكلة تهدد السلام العالمى بإثارة التفرقة والصدام بين الأجناس والألوان ، كما أن التفرقة العنصرية لاتتفق مع المواثيق الدولية اليوم وعلى رأسها ميثاق الأمم المتحدة .

ولقد سارت الشعوب خطوات بعيدة نحو المساواة بين الناس وحطمت العقبات الاستعمارية التى اعترضت القضاء على الفوارق بين الأجناس ، وبذلت الجهود أثناء صياغة ميثاق عصبة الأمم سنة ١٩١٩ بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها للنص فى الميثاق على المساواة بين الناس والأجناس استكمالا لمقترحات الرئيس ولسن بالنص على حرية الرأى والعقيدة فى الميثاق ، وطالب البارون ماكينو Makino مندوب اليابان فى اللجنة التحضيرية بضرورة بحث موضوع المساواة بين الشعوب كمبدأ أساسى للعصبة ولضمان نجاحها وعلى أن يتعهد الأعضاء بمعاملة رعايا بعضهم البعض معاملة قائمة على العدالة والمساواة دون تمييز بسبب الجنس أو اللون ، واستند البارون ماكينو فى مطالبه إلى أن هذه المساواة هى وليدة الحرب التى اشتركت

فيها جميع شعوب العالم فى التضحية لتحقيق مثل عليا مشتركة للجميع ، ويتعين بناء السلام على أساس عدم التمييز العنصرى وحتى يمكن للشعوب أن تضحى مستقبلا دفاعاً عن السلام وعن المثل العليا الواردة فى ميثاق العصبة ، وكان من شأن إمكان الأخذ بهذا المبدأ أن يتهدد الاستعمار فى آسيا والهند وأفريقيا بالانهيار وأن تزول الامتيازات الأجنبية من الصين ومصر وغيرهما وتتقوض أركان الامبراطوريات الاستعمارية ، وهـذا لايحقق ماتصبو إليه من مغانم بانتصارها على امبراطوريات الوسط وتزيد فى رقعتها بضم ممتلكات جديدة إليها بعد انتزاعها من الدول المهزومة ، ووقف مندوب بريطانيا يعترض على مقترحات البارون ماكينو الذى كان يهدف أيضاً إلى جعل آسيا للأسيويين ، وأيد عدد من الأعضاء موقف بريطانيا مما أدى إلى استبعاد بحث المقترح مؤقتاً مع إمكان بحثه مستقبلا ، كما استبعد المقترح الأمريكى الخاص بالنص على حرية الرأى والعقيدة ، وأعادت الصين الكرة دون جدوى مما حدا بها إلى رفض توقيع معاهدة فرسايل وملحق بها ميثاق عصبة الأمم ، غير أنها انضمت فيما بعد إلى ميثاق العصبة بتوقيعها صلح سان جرمان مع النمسا .

وظل الكفاح مريراً بين الذين لا يملكون ويخضعون

اضطراراً لعنت وظلم المستعمرين والمتغطرسين من البيض ، ولم تحفل المنظمات الدولية وعلى رأسها عصبة الأمم فيما بين الحربين العالميتين بمصائرهم وبتحقيق المساواة بين الملونين والبيض غير أن العصبة حققت هدفا محدوداً فى مكافحة الرقيق الأبيض والاتجار بالفتيات والنساء وبالمخدرات ، وقد ساعدها الوعى المتصاعد للشعوب واشتداد ساعد الرأى العام العالمى فى مهمتها الشاقة هذه ، كما عملت عن طريق مكتب العمل الدولى على نشر البيانات عن العمل والعمال والصناعة وعلى التوصية بإصدار تشريعات عادلة للعمال فى مختلف البلدان وتحديد ساعات قصوى للعمل وأجور مجزية للعمال .

وتغير الوضع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كرد فعل للاضطهاد العنصرى أثناء سيطرة النازية على أوروبا ، واستقر رأى انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية على ضرورة تعهدهما ببناء عالم أفضل بعد أن تضع الحرب أوزارها ، وصدر تصريح الأطلنطى فى أغسطس سنة ١٩٤١ عقب اجتماع روزفلت وتشرشل فى بارجة بريطانية فى عرض المحيط الأطلسى فى أشد أوقات الضنك والظلام وقد رجحت كفة المحور مؤقتا فى الصراع ضد الديموقراطية الغربية يوم كان تشرشل الذى اضطلع بأعباء

الكفاح ضد جحافل هتلر بعد تسليم فرنسا يقول فى اصرار مع الأسى لبنى وطنه « ليس لى ما أقدمه إليكم اليوم إلا العرق والدموع » . والتصريح مجموعة مثل اتفق عليها الطرفان تناسب الروح الديموقراطية الغربية ولم تك الولايات المتحدة الأمريكية قد خاضت بعد غمار الحرب ، وضمنها حق الشعوب فى تقرير مصيرها وتعاون الشعوب بلا تمييز فى الميدان الاقتصادى ووضع قواعد للسلام على أساس أن يعيش الناس جميعاً فى مختلف الأقطار فى حرية وفى مأمن من الخوف والعوز وترديد ماسبق أن أعلنه الرئيس روزفلت فى مطلع عام سنة ١٩٤١ من ضرورة بناء عالم أفضل جديد على أساس حرية الكلام والتعبير عن الرأى والعبادة والتحرر من العوز والخوف ، وينم هذا التصريح على اعتزام الجبهة الديموقراطية ــ وقد دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد المحور نتيجة اعتداء اليابان فى بيرل هاربر بتاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ على الأسطول الأمريكى فجأة ــ إقامة عالم جديد بعيد عن مآسى الحروب والدمار يعيش فيه الناس سواسية متآخين بلا اعتبار للجنس واللون .

وسارت الإنسانية خطوات بعيدة نحو نبذ التعصب العنصرى وإقرار المساواة بين الألوان والأجناس وأن يتآخى

الناس فى ظل اتجاه وتنظيم دولى جديد ، وقد هزمت الدول الديمقراطية المتحالفة دول المحور وعلى رأسها ألمانيا النازية المتعصبة للعنصرية وللآرية والتى ارتكبت أبشع الجرائم ضد الإنسانية ، واتسعت الانتقامات ضد السامية والشعوب المغزوة فى أوروبا فى ظل سلطانها ، وجاء ميثاق الأمم المتحدة — وقد حل محل ميثاق عصبة الأمم لأغراض إقرار السلام ووضع حد للمنازعات المسلحة بين الدول ولتعاون البشرية فى المبادىء السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية — يعلن مبادىء سامية فى المساواة بين الناس ، وورد فى ديباجة الميثاق « نحن شعوب الأمم المتحدة . . . وقد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب . . . وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية . . . لهذا فإن حكوماتنا . . . قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة وأنشأت بمقتضاه هيئة دولية تسمى الأمم المتحدة » ، وجاء فى الفقرة الثالثة للمادة الأولى بشأن مقاصد الأمم المتحدة « تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً ، والتشجيع على ذلك إطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين

الرجال والنساء » ، وجاء فى المادة الخامسة والخمسين بالفقرة (ح) مايؤكد — تحقيقا التعاون الدولى الاقتصادى والاجتماعى — المساواة بين الشعوب والأجناس ، وفى ذلك تقول الفقرة (ح) فى المادة المذكورة « أن يشيع فى العالم احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين . ولاتفريق بين الرجال والنساء ، ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلا » ، ونشأ المجلس الاقتصادى والاجتماعى كما نشأت الوكالات والهيئات المتخصصة لدراسة أحوال البشرية وعلاج أمراضها المعنوية والمادية والعمل على رفع المستوى المعنوى والمادى للشعوب التى فى طريق النمو ومكافحة العوز والجهل والمرض وبحث شتى الوسائل التى تدعم التعاون بين الناس ، وتناولت اختصاصات المجلس الاقتصادى والاجتماعى وسلطاته وعمله علاج أحوال الشعوب المعنوية والمادية والدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الأساسية ورسم وسائل هذا الدفاع فيما تعده من اتفاقات وماتقترحه من مؤتمرات ، وطبيعى ان من أهم الأهداف فى هذا الصدد العمل على المساواة بين الناس والألوان والأجناس ومكافحة إضطهاد الجنس والتفرقة العنصرية، وفيما يلى ماجاء فى المادة الثانية والستين « ١ — للمجلس

الاقتصادى والاجتماعى أن يقوم بدراسات ويضع تقارير عن المسائل الدولية فى أمور الاقتصاد والاجتماع والثقافة والتعليم والصحة ومايتصل بها ، كما أن له أن يوجه إلى مثل تلك الدراسات وإلى وضع مثل تلك التقارير . وله أن يقدم توصياته فى أية مسألة من تلك المسائل المتقدمة إلى الجمعية العامة وإلى أعضاء الأمم المتحدة وإلى الوكالات المتخصصة ذات الشأن . ٢ — وله أن يقدم توصيات فيما يختص باشاعة احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية ومراعاتها . ٣ — وله أن يعد مشروعات اتفاقات لتعرض على الجمعية العامة عن مسائل تدخل فى دائرة اختصاصه . ٤ — وله أن يدعو إلى عقد مؤتمرات دولية لدراسة المسائل التى تدخل فى دائرة اختصاصه ، وفقاً للقواعد التى تضعها الامم المتحدة » .

ولقد واصلت المنظمة والهيئات واللجان المختصة تصفية الاستعمار وبحث مشكلة التفرقة العنصرية واضطهاد الجنس وهى لاتزال تبذل الجهد فى هذا الشأن لوضع ميثاق دولى لحقوق الإنسان ، وتوصية البلاد التى لا تزال تأخذ بالتفرقة العنصرية وتنض الطرف عن الرق والسخرة بضرورة الإقلاع عن هذه الأساليب الهمجية ، ولم تأبه اللجان المختصة باحتجاجات الدول

الاستعمارية وبزعمها أن المسألة في نطاق السيادة التي لا سلطان للدول الأخرى عليها وهي من صميم اختصاصها على أراضيها ومواطنيها ، ولوحظ أن مجلس الأمن والجمعية العمومية وسائر هيئات الأمم المتحدة تبحث قضايا العنصرية في إتحاد جنوب إفريقيا وغيرها وتطالب الحكومات المتعصبة بضرورة وضع حد لسياستها الرجعية هذه كما لم تتردد في النظر في شكاوى الشعوب المغلوبة على أمرها كشكوى شعب الجزائر وشعب قبرص ولم تستمع إلى احتجاجات الحكومات المشكو في حقها من أن التدخل لا مبرر له إذ أن تصرفاتها في صميم أعمال السيادة ولا يجوز طرح المسألة على بساط البحث في الأمم المتحدة .

وصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يشبه الاجماع ، وهو تعهد أدبي دولي يؤيد المساواة بين الشعوب بلا تمييز بسبب اللون والجنس ، وهو في روحه ونصه يحقق الهدف الذي لم يمكن تحقيقه في ميثاق عصبة الأمم وبذا تخطو الإنسانية خطوات هامة في سبيل إنهاء الاستعمار وتصفية الأقطار التي تحتلها الامبراطوريات الاستعمارية قسرا رغم إرادة أهلها بتسليم مقاليدها إلى ذويها على أساس نشر العدالة والمساواة بين البشرية

بلا تمييز بسبب الجنس أو اللون ، غير أن العبرة بالأفعال دون الأقوال فلا يخرج الاعلان العالمى لحقوق الإنسان عن أنه تنبيه إلى الضمير القومى والدولى ولا يصحبه زجر أو عقوبة مع تطبيقها ، وجاء فى المادة الأولى من الاعلان وهو توكيد لما جاء فى المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة « يولد جميع الناس أحراراً متساوين فى الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء » ، وجاء فى المادة الثانية « لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الاعلان ، دون تمييز ، مثلا من حيث الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى أو أى رأى آخر أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو الميلاد أو أى وضع آخر ، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء ، وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أى تمييز أساسه الوضع السياسى والقانونى أو الدولى للبلد أو البقعة التى ينتمى إليها الفرد سواء أكان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتى أو كانت سيادته خاضعة لقيد ما » ، وجاء فى المادة السابعة « كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق فى التمتع بحماية متكافئة دون أية تفرقة ، كما أن لهم جميعاً الحق فى حماية متساوية ضد أى تمييز يخل بهذا الاعلان وضد أى تحريض على تمييز كهذا » .

وهناك الاتفاق الأوروبى لحقوق الإنسان وقد أبرم بحكم المادة الثالثة من منظمة المجلس الأوروبى ومركزه الرئيسى فى استراسبورج ، وتنص على أن كل فرد يدخل فى الاختصاص القضائى لدول المنظمة المذكورة له حق التمتع بحقوق الانسان وحرياته الأساسية ، ووقع على الاتفاق المذكور فى روما بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ وأضيف إليه بروتوكول باريس الذى أمضى فى ٥ مارس سنة ١٩٥٢ ودخل فى دور التنفيذ فى ٣سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، وهذا الاتفاق يفوق من الناحية الفنية وأحكام الصياغة الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى سبقت الإشارة إليه، وهو يضمن الحريات العامة لمواطنى الدول الأعضاء مع بيانها بطريقة أكثر عمقا على أساس حق موضوعى ايجابى واضح واتفاق دولى لا مجرد اعلان للحقوق ، وتضمن الاتفاق رعاية الحريات والرقابة عليها بواسطة اللجنة الاوروبية لحقوق الانسان والمحكمة الأوروبية لهذه الحقوق ، ودور المحكمة اختيارى للاعضاء الذين يقرون فى صراحة الخضوع لقضائها ، وعدد أعضاء المجلس الأوروبى حتى عام ١٩٥٦ خمسة عشرعضوا يشمل ذلك الدول الثلاث المسماة البنولوكس وهى بلجيكا وهولانده ولوكسمبورج ويضاف إليها فرنسا وانكلترا وانضمت إليها

ايرلانده وايطاليا وبلاد اسكاندناوه وهى الدنمارك والنرويج والسويد ثم اليونان وايسلاندة وتركيا والمانيا الغربية والسار ، ومن أهم ما عنى به الاتفاق احترام وحماية الإنسان وحقه فى الحياة والمحافظة على حياته وماله وتحريم العقوبات البدنية والمزرية والبعيدة عن الانسانية وحظر الرق والاسترقاق وأعمال السخرة وإجبار الفرد على العمل أو حجزه واعتقاله أو تحديد حرياته، ونص الاتفاق أيضا على احترام حياة وحريات الإنسان الخاصة وضرورة معاملة كافة المواطنين على قدم المساواة بلا فارق وتمييز واهتم بحقوق الاقليات مع ضمان تمتعها بكامل حرياتها .

واهتمت دساتير ما بعد الحرب العالمية الثانية بالاتجاهات السياسية والاجتماعية لعالم اليوم وضرورة السير حثيثا نحو وضع حد الكراهية بين الناس على أساس التفرقة بين الأجناس أو تحكم الأغلبية فى الأقلية أو العكس ، وجاء فى مطلع العديد منها وفى صلبها مثل دساتير فرنسا وايطاليا ويوجوسلافيا توطيد دعائم السلام وعدم إثارة حروب اعتداء وضمان حريات الفرد وعدم اضطهاده بسبب الرأى والعقيدة وتوفير العمل والأجر والمعاش له ومنح حق الاستيطان لكل مضطهد سياسى وتحقيق الضمانات الاجتماعية للاسرة ، واتجاهات الدساتير فى صراحة

نحو المساواة تصبغ عليها روح عالم اليوم ، فى ضرورة تحطيم حواجز التمييز العنصرى وازالة كابوسه من عقول البشر مما يجعل لهذا الطابع صفة عالمية ولا يقصره على الصفة القومية فحسب .

ودستورنا المؤقت المعمول به اليوم الصادر فى مارس سنة ١٩٦٤ وهو دستور ديموقراطى تنظم فيه الحريات وفق اتجاهات الثورة وروح عالم اليوم ولا يخرج فى أهدافه الأساسية عن خطى ما سبقه من دساتير الثورة يقوم على أسس اشتراكية منبثقة من بيئتنا وروحنا العربية وفق ما ورد فى الميثاق الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ وأقره المؤتمر فى ٣٠ يونية سنة ١٩٦٢ ووردت فيه طائفة من المبادئ التى تتجه إليها دساتير عالم اليوم فيما يتناوله تنظيم حريات الفرد وضمان العيش له ولاسرته ، والأمثلة فى الميثاق ونصوص الدستور عديدة نذكر منها ما يلى :

جاء فى الميثاق « إن الحرية وحدها هى القادرة على تحريك الإنسان إلى ملاحقة التقدم وعلى دفعه ، والانسان الحر هو أساس المجتمع الحر وهو بناؤه المقتدر ، إن حرية كل فرد فى صنع مستقبله وفى تحديد مكانه من المجتمع وفى التعبير عن

رأيه وفى اسهامه الإيجابى فى قيادة التطور وتوجيهه بكل فكره وتجربته وأمله فى حقوق أساسية للانسان ، لابد أن تصونها له القوانين ، ولابد أن يستقر فى إدراكنا أن القانون فى المجتمع الحر خادم للحرية وليس سيفا مصلتا عليها . . . »

وجاء فى الميثاق أيضا « إن الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديموقراطية السليمة وبنفس المقدار فان القضاء الحر ضمان نهائى وحاسم لحدودها ، إن حرية الكلمة هى المقدمة الأولى للديموقراطية ، وسيادة القانون هى الضمان الأخير لها ، وحرية الكلمة هى التعبير عن حرية الفكر فى أية صورة من صوره . . »

وجاء فى المادة ٢٤ من الدستور المؤقت « المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لاتمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة . »

وجاء فى المادة ٣١ « لايجوز أن يحظر على مصرى الاقامة فى جهة ، ولا أن يلزم الإقامة فى مكان معين إلا فى الأحوال المبينة فى القانون » وجاء فى المادة ٣٣ « للمنازل حرمة ، فلا يجوز دخولها إلا فى الأحوال المبينة فى القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه . »

وجاء فى المادة ٣٤ « حرية الاعتقاد مطلقة وتحمى الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد ، طبقا للعادات المرعية ، على ألا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافى الآداب »

وجاء فى المادة ٣٥ « حرية الرأى والبحث العلمى مكفولة ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك فى حدود القانون »

وجاء فى المادة ٤٠ « تكفل الدولة للمصريين معاملة عادلة ، بحسب ما يؤدونه من أعمال ، وتحديد ساعات العمل ، وتقدير الأجور ، والتامين الصحى ، والتامين ضد البطالة ، وتنظيم حق الراحة والإجازات » .

وهكذا نرى اتجاها قويا من الناحيتين القومية والدولية للقضاء على التفرقة العنصرية ووضع حد لتصرفات الحكومات ضد الملونين ولانتزاع الكراهية والأحقاد والازدراء من قلوب البشر حيال بعضهم البعض بسبب الجنس أو اللون ، وأنه تبعا لنمو الرأى العام العالمى تقترب البشرية نحو الخلاص من هذا الكابوس الرهيب ليطلع على الانسانية صبح مشرق لا اضطهاد فيه بلا مبرر لأناس لا ذنب لهم إلا لون بشرتهم أو تكوين سحناتهم ، وكأننا نستمع إلى عبارات الأمير المراكشى الأسمر الرقيقة يخاطب فيها

باتريشيا فى المسرحية الشعرية بعنوان « تاجر البندقية » للشاعر المسرحى شكسبير وهو يقول ليستعطفها ويخطب ودها نظرا لدكانة لونه وخوفه من كراهيتها له نظرا للون بشرته «لا تكرهينى بسبب لون بشرتى ، فلونها هذا من فعل الشمس الحارقة ، إذ إننى من بلاد هذه الشمس وهى جارة لى هناك وقريبة منى . . . » .

ونرى مجلس الأمن فى يونية سنة ١٩٦٤ وفى مناسبات عدة يبذل الجهود فى سبيل الحد من عنف التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب أفريقيا وقبرص وغيرها والعمل على تخفيف أحكام السجن المؤبد على الزعماء الأفريقيين ورجال السياسة فى اتحاد جنوب أفريقيا وتلافى الحكم عليهم بأية وسيلة بالإعدام وقد اتهموا ظلما بأعمال التخريب ، ولا يتردد المجلس فى مناقشة بشاعة أحكام الإعدام والتعذيب والاعتقال وغير ذلك من العقوبات التى توقع ضد الملونين الذين يمثلون غالبية السكان . والتى لا تتفق مع حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة واستقرار الأمن الدولى ، وقد اتبع نفس السياسة بحزم مؤتمر القمة للدول الأفريقية الذى عقد فى القاهرة بتاريخ يوليه سنة ١٩٦٤ تجاه حكومتى الأقلية لاتحاد جنوب افريقيا وحكومة روديسيا الجنوبية .

وترى بعض حكومات الغرب وفى طليعتها إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية تحاول القضاء على التفرقة العنصرية فى ديارها وفى حدود مناطق نفوذها ، فتعمل إنكلترا مثلا على إنهاء الصدام بين الاهلين فى مستعمراتها كروديسيا الجنوبية وغينيا البريطانية والأصول الهندية فى الأخيرة نحو ٤٠ ٪ والبقية من أصول إفريقية حتى يمكن بإنهاء التفرقة إعلان إستقلال البلاد كما فى زعم حكومة لندن وجلاء المحتل عنها دون إراقة دماء وإشاعة الفوضى كما حصل فى زنجبار بمناسبة اصطدام الأصول الإفريقية بالجالية التى من أصل عربى وهى الأقلية غداة الاستقلال فى آخر سنة ١٩٦٣ ، وأصدرت حكومة الولايات المتحدة بتشجيع ذوى الآراء الإنسانية الحرة من الشيوخ والنواب فى أوائل يوليه سنة ١٩٦٤ قانون الحقوق المدنية للملونين وهو الكفيل بإنهاء التفرقة العنصرية فى الجمهورية الكبرى للعالم الجديد وحتى يمكن للملونين أن يتمتعوا بحقوقهم السياسية والمدنية بلا عائق وأن يباشروا إعطاء أصواتهم وأن يلحقوا أولادهم بالمدارس والجامعات دون قيد وأن يلجوا الفنادق والمطاعم والمحال العامة ومحطات المواصلات وأن يركبوا القاطرات وغيرها دون عقبات مصدرها الحقد والازدراء وبقايا طباع لم تعد تتفق مع روح العصر ، وقامت

محاولات يائسة من الجمعيات الإرهابية والجماعات التى لا تزال تنظر إلى الأمور بمنظار أهل الجنوب الذين أعلنوا العصيان على الاتحاد وقاموا بحرب أهلية يائسة ذاقوا فيها كؤوس الهزيمة المترعة ، وأخذت هذه المحاولات صور صدام ضد السود والسلطات وارتكاب لحوادث تدل على الوحشية باختطاف بعض أنصار إنهاء التفرقة العنصرية ، وترتب على أعمال العنف والفوضى مسارعة الحكومة الفدرالية بارسال القوات إلى مناطق الاضطرابات فى فلوريدا والمسيسبى فى آخر يونية سنة ١٩٦٤ ، وجابه بوليس نيويورك وغيرها من كبريات مدن الولايات المتحدة مصادمات البيض والسود بحزم ، كما يطارد شرور جمعية الكوكلوكس كلان وسيمضى بعض الوقت قبل أن تزول من عقول بعض الواطنين الأمريكيين وغيرهم فكرة التفرقة بسبب اللون أو الجنس ، والعبرة فى إنهاء اضطهاد الملونين ليس باصدار القوانين بل بث روح التعاطف بين الناس وتربية الفرد تربية سياسية ديمقراطية تذهب عنه نخوة العرق والجنس واللون .

خاتمة

نخلص من دراساتنا للتفرقة العنصرية وتطوراتها أنها مشكلة قديمة بحكم قيام الرق وتطوره تبعا لكفاح البشرية فى سبيل التحرر وتحطيم سلاسل الاستعباد وتحول الرقيق esclave إلى نصف رقيق Serf ثم قيام البورجوازية burgeoisie واشتداد ساعدها بإعلان حريات وحقوق الإنسان ودساتير نهاية القرن الثامن عشر ، غير أنها لم تتخذ صورتها البشعة كما سبق أن بينا إلا فى أعقاب الانقلاب الصناعى واشتداد وطأة الاستعمار وزيادة حاجات المصانع إلى المواد الأولية فيما وراء البحار إلى فتح الأسواق فى مختلف أنحاء العالم ، وامتداد سلطان الشركات والبنوك ورءوس الأموال كأذرع الأخطبوط من أدنى الأرض إلى أقصاها ، وترتب على هذا الوضع أن حل بالرجل الأبيض — تبعا لقوة سلاحه وسلطانه على الشعوب الأخرى وما جمعه من ثروات وفيرة وسيادته على جل أرض العالم الزاخرة بالمواد الأولية — زهو وازدراء لسائر الأجناس مع تشديد قبضة يده عليها حتى تظل ذليلة خاضعة لحكمه

ولتبقى منابع ثرواتها وقوة سواعد أبنائها فى خدمة مصالحه وإثراء صناعات الغرب .

ونما الاستعمار إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، كما لم تنجح محـاولات الشعوب المهضومة الحقوق التى ساهمت فى الحرب بجانب الحلفاء ضد امبراطوريات الوسط فى الحرب العالمية الأولى فى الوصول إلى تقرير المساواة بين الأجناس فى ميثاق عصبة الأمم ، فقد عارضت الامبراطوريات الاستعمارية الـكبرى المنتصرة فى ذلك حتى لا يؤدى الوضع الجديد إلى ضياع ممتلـكاتها ومناطق نفوذها ، وتقدم العالم بعد الحرب العالمية الثانية خطوات واسعة نحو التحرر وقد كانت درسا قاسيا للاستعمار وأدت إلى استيقاظ شعوب آسيا وأفريقيا ، وأخذ استعمار واحتلال غالبيتها يذبلان تدريجيا ، وقضى تبعيا على ما كان يتمتع به الرجل الأبيض من مزايا قانونية وسياسية وعلى أساليب ابتزازه ثروات هذه الشعوب بطرق غير مشروعة .

وحطمت البشرية الواعية صنم عبادة العنصر الآرى التى قامت على نظريات وأفـكار مريضة لتحقيق أغراض التوسع السياسى واستغلال الملونين لصالح المصانع والبنوك فى أوربا وقد رأيناها فى قوانين نورمبرج وفى حرمان الأفريقيين من الحقوق السياسية

والمدنية فى اتحاد جنوب أفريقيا وهكذا . إلا أن الكراهية بين الأجناس شوهدت أيضاً بين فروع مختلفة من الملونين والسمر وفى صميم المجتمع الأسود الأمريكى وبين السمر والسود ، وبين شعوب بيضاء مختلفة الحضارات ، وهذه الكراهية تسيطر على القبائل المختلفة فى الكونغو وعلى العرب والهنود والسود فى الأصقاع التى يعيشون فيها فى كنف مجتمع سياسى معين ، وبين الأقليات وغالبية السكان كما فى رومانيا من الفرقة بين الرومانيين ومجرترا نسيلفانيا ، وفى قبرص بين الأتراك واليونانيين .

وعجز الصهيونيون شأنهم شأن النازيين علميا واجتماعيا وسياسيا عن إلباس ادعاءاتهم الباطلة الثوب العلمى المقنع فى أنهم القوم المختارون وأنهم يمثلون عنصرا متميزا على غيره وله رسالة تملى عليه إنشاء دولة فى صميم أرض العرب فى فلسطين ، وأعمالهم الهمجية هى من ذيول العدوان الاستعمارى،ولا يؤيدها بأى حال من الأحوال انتشارهم فى العالم وتعدد سحناتهم وألوان بشرتهم وتكوين جماجمهم ولغاتهم ، وهم يكررون الاعتداءات النازية فى أرض العرب الذين أكرموا وفادتهم وعاملوهم وفق الحضارة العربية معاملة كريمة سمحاء منذ قرون عديدة ، ويعضون اليد التى أكرمتهم وأطعمتهم على طول السنين .

وإن التمسك بفكرة العنصرية وماتكنه النفوس المريضة من ازدراء وكراهية اللون أو جنس معين أو مايدعيه الكتاب من تفوق عقول وكفايات على أخرى بحكم العنصر لا يستند إلى أسس علمية ، فمن السود والسمر من ساهموا فى بناء صرح الحضارة وفى الأعمال الإنسانية السامية وبذلوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل القضايا الانسانية والحريات ، وليست هناك أجناس نقية إلا ماندر وهى فى طريقها إلى الانقراض وقد هدمت نقاوة الجنس الحروب والهجرة والاختلاط واتساع وسائل النقل مع سرعتها وانتشار الحضارة كسريان التيار الكهربى ، والشعوب تتميز وتزدهر بحضاراتها وطبائعها ولغاتها ومدى اشتراكها فى نسج ثوب المدنية مع المحافظة على ذاتيتها فى حدود عيشها عيشاً رضيا فى تعاطف وتعاون بعيدة عن الصدام المسلح بسبب اختلاف الجنس أو العقيدة .

وقد يتخذ الاستعمار من التفرقة العنصرية أداة لتثبيت قدميه بتشجيع أقلية تماثله النيل من الغالبية على أساس سياسة فرق تسد ، كما قد تتحكم أقلية فى المجتمع السياسى وتستبعد الغالبية من حلبته ومن الحقوق المدنية كما فى اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية ، وقد ينشق المجتمع إلى جبهتين متضادتين متنافرتين متساويتين

فى العدد أو قريبتين من التعادل كما فى غينيا البريطانية ، وقد تتحكم الغالبية فى المجتمع دون اشراك الأقلية سياسيا واجتماعيا فيه كما فى الولايات المتحدة الأمريكية .

والتفرقة العنصرية حاليا وصمة فى جبين الانسانية وقد قام ميثاق الأمم المتحدة يقرر المساواة التامة بين الناس وألا يقع اضطهاد بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة أو الرأى ، كما عملت فروع الأمم المتحدة وهيئاتها على ضمان هذه المساواة ، وصدر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان يهدم الفوارق بين الناس ويؤيد ما جاء فى ميثاق الأمم المتحدة ، وأبرم كما سبق أن شرحنا ميثاق حقوق الإنسان المنبثق من منظمة المجلس الأوروبى يؤيد نفس الفكرة على أسس أبعد غوراً وأقوى من الناحية الفنية من الاعلان العالمى لحقوق الإنسان .

وجاءت الدساتير الحديثة تنص فى غرتها وصلبها على حريات المواطنين بلا تمييز بسبب الجنس أو اللون أو الدين وتوجه هذه الحريات بما يضمن للجميع الرزق والكسب والمعاش ويطمئنهم على مستقبلهم ويحميهم من الاضطهاد بأنواعه ، وهذه التفرقة العنصرية لا يزال يئن منها المجتمع الأمريكى رغم مضى أكثر من قرن ونصف قرن على حرب الشمال والجنوب المسماة بحرب

الانفصال الأمريكية وانتصار الشمال الصناعى المتحرر على الجنوب الزراعى المتزمت المتمسك بعدم تحرير العبيد ثم عودة الاتحاد إلى كيانه الطبيعى .

وتتعدد صرخات الملونين فى الولايات المتحدة الأمريكية وعلى رأسهم السود احتجاجا على حرمانهم من المساواة الاجتماعية وإغلاق أبواب مدارس وجامعات البيض فى وجوههم وحرمانهم من الوظائف الرئيسية والأعمال الهامة المربحة ووضع العقبات فى سبيل مباشرتهم حقوقهم السياسية ، وعلى استخدام البيض ـ وخاصة فى الجنوب ـ العنف إلى حد إزهاق الأرواح ونشر الدمار إمعانا فى اضطهاد الملونين ، غير أن الحكومة الاتحادية تبذل الجهد لتخفيف وطأة التفرقة العنصرية ، كما أن المشرع الأمريكى يعمل على إصدار القوانين الكفيلة بإنهاء هذه التفرقة ويشفع التشريع بالعقوبات التى تفرض على الذين يتمسكون بها .

وتصر حكومة اتحاد جنوب أفريقيا على استمرار سياستها الظالمة ضد الغالبية الإفريقية الملونة وهى تهضم حقوقها السياسية لصالح أقلية تريد ـ فى إصرار ـ الاستمرار فى الاستئثار بالثروة والسيادة فى هذه البلاد ، وتتعدد المصادمات والمحاكمات وتتدخل الأمم المتحدة لتعديل هذه السياسة المجحفة وتضرب بما تدعيه

حكومة الاتحاد من أن المشكلة داخلية ولا تخص المحيط الدولى عرض الحائط ، ويهدد مجلس الأمن بفرض العقوبات الاقتصادية والدبلوماسية على اتحاد جنوب أفريقيا ، كما تقاطع الدول الأفريقية والآسيوية هذه الحكومة العنصرية بكافة الوسائل مما سيجبرها مستقبلا على تعديل خطتها ، وتسير البرتغال فى نفس طريق التفرقة العنصرية المعوج ، وتصر على الإبقاء على جبروتها الاستعمارى فى فلول مستعمراتها ، غير أنها لن تستطيع المضى فى هذه السياسة وقد وقفت العدالة والإنسانية بحزم فى وجه سياستها الظالمة ، وسينتهى الأمر بإلقاء سلاحها والانضمام إلى ركب التقدم العالمى .

والتفرقة العنصرية ليست بحال مشكلة تخص دولة معينة تشجر فى نطاقها هذه المشكلة ولا يحق - كما يدعى البعض خطأ - للدول الأخرى والرأى العام العالمى وللمنظمات الدولية بحثها والمطالبة بوضع حد لها ، بل هى فى صميم الحياة الإنسانية وموقف العالم السلبي منها - وهو اليوم لا يقف هذا الموقف - يؤدى إلى اضطراب حبل الأمن الدولى واشتعال الحروب ، وهذا ما حدا بالأمم المتحدة وبسائر المنظمات الدولية وبالدول الافريقية والآسيوية إلى التدخل لحلها ، وإن انتشار سبل الحضارة الحديثة

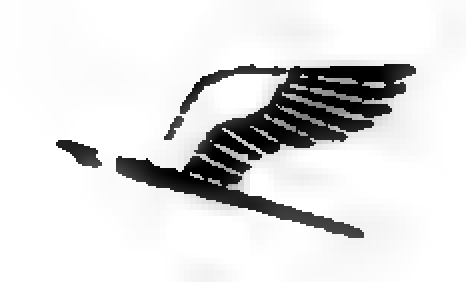
سريعا فى مختلف أصقاع العالم وأفول نجم الاستعمار وزيادة وعى الشعوب وقوة الرأى العام العالمى ، هذه العوامل تساعد فى يقظة الأمم ووقوفها بالمرصاد للذين يهددون السلام ويريقون الدماء البريئة ويعرضون البشرية للجوع والفاقة ويحولون دون وصول نور الحرية والعلم إلى أقوام معينين ، بسبب اختلاف الجنس أو لون البشرة .

ولا ننسى أخيراً أن نذكر أن من مفاخر الإسلام وحضارة العرب أن مأساة التفرقة العنصرية التى أفضنا فى شرحها بما فى ذلك من كراهية وازدراء واضطهاد كانت أبعد الأدواء عنهما ، إذ يسود المجتمع العربى المساواة التامة بين الناس ولا فرق بين صولجان الحكام وقلنسوات العامة .

ونرى فى عرضنا للمشكلة أنها بعد أن اتخذت ـ طويلا ـ وضعاً شائكا خطيراً أخذت تخف حدتها تدريجيا ، وهى فى طريق الأفول تبعاً لأفول نجم الاستعمار وضعف يد الغرب الممسكة بخناق الشعوب الملونة لتسخيرها لصالح صناعاتها ولتستولى على المواد الأولية رخيصة فى ديارها ولتفتح الأسواق لصالح مصانعها وشركاتها ، وإن يقظة الأمم المتحدة وقد وقفت بالمرصاد لمعكرى صفو السلام والأمن الدوليين ، وضمنهم أنصار التفرقة العنصرية

وصنائعهم الذين يثيرون القلاقل فى العالم الجديد وفى البلاد التى فى طريق النمو فى أفريقيا وآسيا ، وزيادة الوعى القومى والدولى وقوة الرأى العام العالمى والاتجاهات الحديثة فى معالجة المشكلات الدولية وروح الدساتير لما بعد الحرب العالمية الثانية هذه العوامل السياسية والاجتماعية تسعى جادة فى سبيل تصفية التفرقة العنصرية .

أحمد سويلم العمرى



المكتبة الثقافية
تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها :

١ — الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين { للأستاذ عباس محمود العقاد

٢ — الاشتراكية والشيوعية . . للأستاذ على ادهم

٣ — الظاهر بيبرس فى القصص الشعبي للدكتور عبد الحميد يونس

٤ — قصة التطور ... ... للدكتور انور عبد العليم

٥ — طب وسحر ... ... للدكتور بول غليونجى

٦ — فجر القصة ... ... للأستاذ يحيى حقى

٧ — الشرق الفنان ... ... للدكتور زكى نجيب محمود

٨ — رمضان ... ... للأستاذ حسن عبد الوهاب

٩ — أعلام الصحابة ... ... للأستاذ محمد خالد

١٠ — الشرق والإسلام ... ... للأستاذ عبد الرحمن صدقى

١١ — المريخ ... ... { للدكتور جمال الدين الفندى والدكتور محمود خيرى

١٢ — فن الشعر ... ... للدكتور محمد مندور

١٣ — الاقتصاد السياسى... ... ... للأستاذ أحمد محمد عبد الخالق

١٤ — الصحافة المصرية ... ... للدكتور عبد اللطيف حمزة

١٥ — التخطيط القومى ... ... للدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن

١٦ — اتحادنا فلسفة خلقية ... ... للدكتور ثروت عكاشة
١٧ — اشتراكية بلدنا ... ... للأستاذ عبدالمنعم الصاوى
١٨ — طريق الغد ... ... للأستاذ حسن عباس زكى
١٩ — التشريع الإسلامى وأثره فى الفقه الغربى } للدكتور محمد يوسف موسى
٢٠ — العبقرية فى الفن ... ... للدكتور مصطفى سويف
٢١ — قصة الأرض فى إقليم مصر ... للأستاذ محمد صبيح
٢٢ — قصة الذرة ... ... للدكتور إسماعيل بسيونى هزاع
٢٣ — صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه } للدكتور أحمد احمد بدوى
٢٤ — الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى للدكتور محمد مصطفى حلمى
٢٥ — تاريخ الفلك عند العرب ... ... للدكتور إمام إبراهيم أحمد
٢٦ — صراع البترول فى العالم العربى للدكتور أحمد سويلم العمرى
٢٧ — القومية العربية ... ... للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٢٨ — القانون والحياة ... ... للدكتور عبد الفتاح عبد الباقى
٢٩ — قضية كينيا ... ... للدكتور عبد العزيز كامل
٣٠ — الثورة العرابية ... ... للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى
٣١ — فنون التصوير المعاصر ... ... للاستاذ محمد صدقى الجباخنجى
٣٢ — الرسول فى بيته ... ... للأستاذ عبد الوهاب حمودة
٣٣ — اعلام الصحابة « المجاهدون » للأستاذ محمد خالد
٣٤ — الفنون الشعبية ... ... للأستاذ رشدى صالح
٣٥ — اخناتون ... ... للدكتور عبد المنعم أبو بكر
٣٦ — الذرة فى خدمة الزراعة ... للدكتور محمود يوسف الشواربى

٣٧ — الفضاء الكونى ... ... للدكتور جمال الدين الفندى

٣٨ — طاغور شاعر الحب والسلام للدكتور شكرى محمد عياد

٣٩ — قضية الجلاء عن مصر ... ... للدكتور عبد العزيز رفاعى

٤٠ — الخضروات وقيمتها الغذائية والطبية للدكتور عز الدين فراج

٤١ — العدالة الاجتماعية ... ... للمستشار عبد الرحمن نصير

٤٢ — السينما والمجتمع .. .. للأستاذ محمد حلمى سليمان

٤٣ — العرب والحضارة الأوربية .. للأستاذ محمد مفيد الشوباشى

٤٤ — الأسرة فى المجتمع المصرى القديم للدكتور عبد العزيز صالح

٤٥ — صراع على أرض الميعاد... ... للأستاذ محمد عطا

٤٦ — رواد الوعى الإنسانى ... ... للدكتور عثمان أمين

٤٧ — من الذرة إلى الطاقة ... ... للدكتور جمال نوح

٤٨ — أضواء على قاع البحر ... ... للدكتور أنور عبد العليم

٤٩ — الأزياء الشعبية ... ... للأستاذ سعد الخادم

٥٠ — حركات التسلل ضد القومية العربية للدكتور إبراهيم احمد العدوى

٥١ — الفلك والحياة ... ... { للدكتور عبد الحميد سماحة
والدكتور عدلى سلامة

٥٢ — نظرات فى ادبنا المعاصر ... للدكتور زكى المحاسنى

٥٣ — النيل الخالد ... ... للدكتور محمد محمود الصياد

٥٤ — قصة التفسير ... ... للأستاذ أحمد الشرباصى

٥٥ — القرآن وعلم النفس ... ... للأستاذ عبد الوهاب حمودة

٥٦ — جامع السلطان حسن وما حوله للأستاذ حسن عبد الوهاب

٥٧ — الأسرة فى المجتمع العربى بين
الشريعة الإسلامية والقانون } للاستاذ محمد عبد الفتاح الشهاوى

١٠١ — أضواء على السير الشعبية ... للأستاذ فاروق خورشيد
١٠٢ — طبائع النحـل ... ... للدكتور محمد رشاد الطوبى
١٠٣ — النقود العربية «ماضيها وحاضرها» للدكتور عبد الرحمن فهمى
١٠٤ — جوائز الأدب العالمية «مثل من جائزة نوبل» للاستاذ عباس محمود العقاد
١٠٥ — الغذاء فيه الداء وفيه الدواء ... للأستاذ حسن عبد السلام
١٠٦ — القصة العربية القديمة ... ... للأستاذ محمد مفيد الشوباشى
١٠٧ — القنبلة النافعة ... ... للدكتور محمد فتحى عبد الوهاب
١٠٨ — الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ للدكتور عبد الرحمن زكى
١٠٩ — الغلاف الهوائى ... ... للدكتور محمد جمال الدين الفندى
١١٠ — الأدب والحياة فى المجتمع المصرى المعاصر ... ... للدكتور ماهر حسن فهمى
١١١ — الوان من الفن الشعبي ... ... للاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
١١٢ — الفطريات والحياة ... ... للدكتور عبد المحسن صالح
١١٣ — السد العالى «التنمية الاقتصادية» للدكتور يوسف أبو الحجاج
١١٤ — الشعر بين الجمود والتطور ... للاستاذ العوضى الوكيل
١١٥ — التفرقة العنصرية ... ... للدكتور احمد سويلم العمرى

الثمن قرشان

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته مكتبة جامعة تحوي جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة ومتخصصين وبقرشين لكل كتاب
- تصدر مرتين كل شهر في أوله وفي منتصفه

الكتاب القادم

صراع مع الميكروب

الدكتور محمد رشاد الطوبي

أول سبتمبر ١٩٦٤



الثمن ٢ ـ

دار القلم بالقاهرة